
روايات مصرية للجيب
H.I.V
سافاري
27
Looloo
www.dvd4arab.com
د. أحمد خالد توفيق

مقدمة

(سافارى) مصطلح غربى تم تحريفه عن كلمة (سافريّة) العربية .. وحين يتحدثون عن الـ (سافارى) فهم يتحدثون عن رحلات صيد الوحوش فى أدغال (إفريقيا) ..

لكن وحدة (سافارى) التى سنقابلها ها هنا كانت تصطاد المرض فى القارة السوداء .. ووسط اضطرابات سياسية لاتنتهى .. وبيئة معادية .. وأهال متشككين ..

بطلنا الذى سنقابله دومًا ، ونألفه ، ونتعلّم أن نحبه هو د. (علاء عبد العظيم) .. شاب مصرى ككل الشباب .. اختار أن يبحث عن ذاته بعيدًا وسط أدغال (الكاميرون) ، وفى بيئة غريبة وأمراض أغرب وأخطار لاتنتهى فى كل دقيقة ..

وفى هذه الروايات نقرأ مذكرات د. (علاء) .. نعيش معه ذلك العالم العجيب الذى لم تنجح الحضارة فى تبديل معالمه ..

سنلقى الكثير من الفيروسات القاتلة .. والسحرة المجانين .. وأكلة لحوم البشر .. والمرتزقة الذين لايمزحون .. وسارقى الأعضاء البشرية .. والعلماء المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيبنا الشاب كى يظل حيًا .. وكى يستطيع فى الوقت ذاته أن يظل طبيبًا ..

تعالوا نلحق بوحدة (سافارى) فى (الكاميرون) ..

تعالوا ندخل الأدغال ونجوب (السافانا) ونتسلق البراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق (سافارى) ..

* * *

1ـ عدنا !

ها نحن أولاء قد عدنا إلى (سافارى) .. (سافارى) الأولى الأصلية بالنسبة لى ..

لقد كنا فى المركز الرئيسى فى (كينيا) ، وإلى حد ما كان كثيرون يغبطوننا على ذلك .. وبعضهم يحسدنا .. لكنكم كنتم معنا هناك وتعرفون أن حياتنا هناك لم تكن نزهة فى (ديزنى لاند) .. كانت هناك مصائب وكوارث ومشاجرات ونوبات اكتئاب ..

لكنى سأذكر دومًا لوحدة (سافارى ـ 1) أنها المكان الذى حققت فيه حلمى .. وأن (برنادت) صارت لى للأبد .. صحيح أن بذرة القبول غرست هنا ، لكنها ازدهرت هناك .. ولا شك أن لابتعادنا وشعورها بأننى الوحيد من عالمها دورًا لا بأس به فى هذا القبول .. ولو مكثنا هنا فلربما تأخرت إجابتها كثيرًا جدًا ، أو لم تأت قط ..

لم تكن إجازتنا هانئة وأعتقد أنك توافقنى على ذلك .. كانت هناك مشاكل بعد المشاكل ، وموضوع الظاهرة العجيب الذى كان كابوسًا حقيقيًا أدعو الله أن يكون انتهى فعلاً ..

إلا أننا اختلسنا بضعة ايام أخيرة عرفت فيها حقًا لـذة أن تتواجد أمى وزوجتى فى مكـان واحد وأن تكونـا صديقتيـن حميمتين .. إن التفاهم بالعاطفة حقيقى ولا يحتاج إلى لغة .. على العموم (برنادت) عرفت الكثير من العربية المسموعة والمنطوقة، بينمـا أجادت زوجة أختـى الكثير مـن العبـارات الفرنسية ..

فى النهـاية تنهدت بينما الطائرة ترتفع .. فى المرة القادمة ستكون أمور كثيرة قد تغيرت .. هل أعود مـع طفل أو طفليـن ؟ هل أعود حيًا أصلاً ؟ إن طريقتى فى الحياة وحظـى الغريـب يجعلان هذا نوعًا من الخيال العلمى .. هل ستكون أمـى فـى استقبالنا فى دارنا ؟ لقد لحقت بها هذه المرة بمعجزة مـا .. فهل تتكرر هذه المعجزة بعد عامين أو ثلاثة ؟

أفكار تدور بذهنك بينما الطائرة تحلق فوق إفريقيا .. لهـا تصميم القدر وإصـراره .. لا عودة . هذا مصيرى وسـوف أذهب إليه .. فقط الأطفـال يستطيعون أن يصرخوا ويركلـوا الأرض بأقدامهم طالبين العـودة .. لكنى اخترت هذا الطريـق ولن أتراجع ....

وسألتنى (برنادت) وهى تريح مسند الرأس :

ـ « هل أوحشتك (سافارى) ؟ »

هززت رأسى .. أحمد الله أننى من القلائل الذين يمكن أن يقولوا إن مكان عملهم قد أوحشهم .. ولو كنت مسئولاً عن مجموعة دفاتر فى قبو مظلم رطب ، أو مطالبًا بالرقاد فى الوحل تحت سيارة لأتأكد من سلامة ماسورة العادم ، أو مضطرًا للغطس فى المجارى لتسليكها .. بالتأكيد ما كنت لأشتاق لعملى بهذا القدر .. حمدًا لله .. حمدًا لله ..

الرحلة طويلة مرهقة .. لهذا يكون النوم هو خير ما يمكنك عمله ....

★ ★ ★

أخيرًا هى ذى (سافارى) التى تغلغلت فى خلاياى ..

هبطنا من السيارة فوجدنا عددًا من الأطباء يستقبلوننا .. منهم من يحتضنك ومنهم من يصافحك بالطريقة الأمريكية ومنهم من يصافحك بالبرود البريطانى .. من لا يبالى بقدومك ومن يكرهه ومن يرقص طربًا له ..

إن مجيئك من انتداب طويل أمر لا مشكلة فيه .. لكن قدومك من المنفى أمر يختلف .. والأهم هنا أننا نعود زوجين .. وقد رأيت (بسام) العزيز بين الصفوف .. إن السلام على الطريقة العربية يختلف طبعًا فلا شىء يفوقه

حرارة .. الكثير من القبلات والأحضان والعيون الدامعة .. إن (بسام) كتلة ملتهبة من العواطف الصادقة .. يضحك حتى يزرق لونه .. يبكى حتى تجف مقلتاه .. يغضب لدرجة القتل ..

انفجر يكلمنى باللهجة التونسية المحببة لينهمر على سيل من حروف (القاف) ، مقابلاً به كل ما نطقت به من حروف (الهمزة) .. فقلت له همسًا :

ـ « ارحمنى .. تكلم ببطء أو بالفصحى .. »

فنحن لم ننس بعد موضوع (الدلاعة الرصينة) التى عرفت بصعوبة أنها (البطيخة الثقيلة) .. أو حين احتج على كلمة (الطاسة) التى هى المقلاة عندنا ، لأن (الطاسة) عندهم هى علبة الطعام المحفوظ الفارغة .. يومها سألته : إذن بم تسمون (الطاسة) ؟

قال فى ضيق : نسميها .. نسميها أى شىء غير (الطاسة) !

هنأنى على الزواج الميمون .. ومن بين الوجوه رأينا (شيلبى) قادمًا متبخترًا كعهدى به .. وقال لى :

ـ « هل عرفت الآن السر ؟ العيب فيك لم فى (سافارى) ؟ »

تذكرت أننى أحمل كارثة معى أينمـا حللت .. لذا هززت رأسى فى تواضع وقلت :

ـ « لدينـا بيت شعر يقول :

نعيب زماننـا والعيب فينا ∴ ولو نطق الزمان إذن هجانا

أعتقد أنه يلخص الموقف .. »

ابتسم وقال وهو يصافحنى :

ـ « من الجميل ألاتكون من العاديين الذين يملئون الطرقات .. سوف تعرف هذه المزية فى لحظة الاحتضار ! »

أما المدير فكان فى مكتبه قابلنا بالحرارة المعهودة له فلا أنكر أنه شخص به من العواطف شىء كبير .. كان قد ازداد سمنة ، وبدا لى كأنما يحيا بمعجزة .. وعرفت أنه نشر عدة بحوث قيمة فى دوريات البيولوجيا الجزيئية ، مما أثار دهشتى .

هذا الرجل ما زال يعمـل كطبيـب أحيانـا .. لـم تنسـه الإداريات كل شىء ..

سألته عن موضوع عبدة الأفاعى هذا .. هل عاد أحدهم ؟

هز رأسه وقال وهو يلوك شيئاً ما :

ـ « لا أثر لهم .. على كل ـ أكره أن أقولها صريحة ـ

ما دام (بودرجا) لم يتأذ وما دام حيًا يرزق ، فإن لى أن أطمنن عليكما .. لا أعتقد أن هؤلاء القوم يعرفون أنك عدت .. بل لا يعرفون أنك ذهبت ! »

قالت (برنادت) وهى ترتجف :

ـ « آمل هذا من كل قلبى .. لكن الأمر يوحى بنهاية مفتوحة كما فى السينما .. هناك تتمة Seduel لهذا الفيلم .. ومن المعتاد أن تكون التتمات اكثر دموية وعنفًا .. »

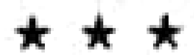
قلت باسمًا :

ـ « لا تنسى أن التتمات هى الموضة هذه الأيام .. »

الآن انتقل المدير إلى الجزء العملى من الموضوع .. من الواضح أننا لن نعيش للأبد فى مسكن الأطباء .. لهذا عرض علينا (فيلا) صغيرة كان يعيش فيها قبل أن ينتقل إلى مسكن أكبر .. (الفيلا) تتبع الوحدة فلن تكون علينا أعباء مادية .. لكننا سنكون عمليًا خارج حدود الوحدة قرب الدغل .. والمسافة إلى الوحدة على كل حال لا تزيد على خمس دقائق على القدمين ..

نظرت إلى (برنادت) وبصعوبة تمالكت نفسى كى لا أثب على المدير لأوسع خديه الزجراجين تقبيلاً .. لربما جلست

على حجره كذلك وناديته (بابا) .. هاهى ذى أكثر مشـاكلنا تحل فى ثانية واحدة .. والإقامة فى (فيلا) منفصلة ستناسبنا بالتأكيد .. طابق أرضى .. بالتأكيد هناك حديقة .. يبدو أن أيام الغرفة الضيقـة وجهـاز طـرد الأشـباح المثبـت فـى السقف ، قد انتهت إلى الأبد ..



بالطبع لم تكن هذه (فيلا) بالمعنى الدقيق للكلمة .

لكن يمكن القول أن هناك حديقة غير مهندمة .. لم يعتـن بها أحد من قرون ، وثمة بيت صغير من طابق واحد فيـه ثـلاث غرف .. والغرف فـى حالـة يرثـى لهـا مـن القـذارة والإهمال .. إن أحدًا لم يأت هنا منذ أربعة أعوام ..

لكن هذه متعة أخرى كما تعلم .. تحويل هذا الحطـام إلـى جنة أرضية .. هذه هى مزية الشباب .. أن تستمتع بوضـع كهذا وتـأمل فـى مزيد من التحسن .. بينمـا كبـار السـن لايقبلـون إلا أن تكون الأشياء علـى خير حـال .. لا وقـت لديهم ولا سعة صدر للبدء من جديد ..

فقط الشـاب يمكن أن يرى فراشًا يكفى أن تسعل جـواره كى ينهار ، وبرغم هذا يضحك حتى تدمع عيناه .. ويحاول

فى صبر إصلاحه .. وقد بدأت (برنادت) فى حماسة محاولة إعطاء طابع بشرى للحديقة .. أنا لا أفهم الأزهار .. ولا أعرف عنها إلا أنها تصلح مربى ممتازة .. لكنها أعدت كل شىء بدقة وبراعة ..

الخلاصة إن إعداد هذه (الفيلا) كان يمنحنا لحظات مرح حقيقية، بعد انتهاء ساعات العمل الذى عادت عجلته تدور بانتظام ..

كانت الفيلا الصغيرة قريبة جدًا من (سافارى) بحيث يمكنك أن ترى معالم المبانى من هذه المسافة .. لكنها قريبة كذلك من الدغل .. ولهذا لن أدهش يومًا لو صحوت من النوم لأجد فهدًا يشاركنى الفراش، هذا بالطبع لو كانت هناك فهود هنا .. لكنها غابة مهذبة لطيفة ..

هناك منزلان لهما نفس الطابع .. مما يشكل جيرة صغيرة باسمة .. الفيلا الأولى يقطنها طبيب الأمراض الباطنة الكاميرونى (نولا لوبولو) وزوجته ـ وهى ممرضة لاتعمل حاليًا ـ وطفلاهما .. أسرة مهذبة راقية و(فى حالها) تمامًا .. وأنا أحب الجيران الذين لن تزيد علاقتك بهم على المجاملات .. إن العلاقات السطحية تظل جميلة دائمًا .. أما تعميق العلاقات فهو الطريق الملكى إلى المشاكل .. المشادات .. الكراهية . وفى النهاية تصير حياتك جحيمًا ..

الفيلا الثانية تقطنها طبيبة فرنسية مختصة بأمراض العيون .. تدعى (سيمون مولينسار) .. زوجها السيد (لوى مولينسار) مهندس اتصالات .. ويبدو أنه يعمل لدى شركة بلجيكية فى (ياوندى) .. إلا أن أكثر وقته ينقضى هنا .. لم يرزقا بأطفال وهذا ـ فيما يبدو ـ جعلهما جائعين إلى العلاقات البشرية .. لهذا هما الأكثر مودة واجتماعية .. وفى أى وقت فى أية ساعة من اليوم لا بد أن تجد أحدهما عندنا .. المهندس لو كنت أنا موجودًا ، وزوجته لو لم أكن موجودًا .. والاثنان معًا لو تواجدنا معًا ..

هذا يضايقنى بالفعل .. أمقت الزيارات لأنى سأضطر إلى ردها .. وأحب أن أسترخى يوم العطلة بدلاً من أن أجد ضيوفًا فى دارى يريدون من يعنى بهم .. هكذا تقضى اليوم كله مرهقًا ثقيل الجفنين تحاول أن تتابع المحادثات التى لا تنتهى ..

لكنى بالطبع أفضل زوجين ودودين على زوجين يلتهمان الأطفال .. وقد صار من العسير اليوم أن تجد زوجين لا يفعلان ذلك ..

ودودان بحق .. لكنى بدأت فى الآونة الأخيرة ألمح علامة استفهام تحوم حولهما ....

* * *

2ـ HIV ..

من أين جاء ؟

من هو أبوه ؟ متى نشأ ؟

إنه لا يعرف شيئاً من هذا أو لا يذكره .. قيل إنه جاء من القردة الإفريقية الخضراء ، وقيل إنه جاء من ظلام مختبر للحرب البيولوجية ، وقيل إنه جاء من الفضاء الخارجى ..

لا يعرف هو نفسه ..

كل ما يعرفه هو أنه حى .. وأنه موجود .. وأن هذا وقته ..

ربما لا يذكر عن نفسه إلا أنه كان فى (سان فرانسيسكو) ، وأنه ترعرع فى عروق ذلك الفتى الزنجى .. إن (سان فرانسيسكو) مدينة تعج بالفساد .. وهو يزدهر حيثما يوجد الفساد ..

عرف الكثير ورأى الكثير .. فقط كان يدرك الحقيقة الأساسية .. هذا الفتى الزنجى يزوى بسرعة مذهلة ، ومن الحكمة البحث عن دم آخر طازج يسبح فيه ....

وجاءته الفرصة بسرعة يوم شعر بذلك المحقن يخترق عروق الفتى .. إن هذا الذى يحقن ليس دواء على الإطلاق أو هو دواء لكنه ضار .. هذه المادة المخدرة تتسرب فى عروق الزنجى الذى لم يرد أن يتخلى عن لفافة تبغه المحشوة بالمخدرات وهو يأخذ الحقنة .. فقط ضغط عليها بأسنانه وغمغم :

ـ « يا رجل .. أنا (مسطول) .. Man I,am Stoned »

لسبب ما يصر هؤلاء على مناداة بعضهم بـ (يا رجل) .. لكن ليس هذا وقت الملاحظات اللغوية .. ما يجب قوله هنا هو إن الأبرة تلوثت بدم الفتى .. وشعر بأنه يسحب ببطء خارجًا من عروق الفتى ليوضع على منضدة ..

وترتفع موسيقا (الهيفى ميتال Heavy Metal) أو (الديث ميتال Death Metal) التى يعشقها هؤلاء الفتية .. المطرب يترنم بكلمات رقيقة عن : أريد أن ينتصر الشيطان .. أريد أن أرى جثث الأطفال المحترقة تكسو الحقول .. أريد أن يبدأ عصر الكراهية ..

إنها ثلاثية (مخدرات ـ جنس ـ روك آند رول) التى يزدهر فيها المرض بحق ..

إنّ المحقن لم يفرغ بعد .. ما زال هناك الكثير بداخله ،

وقد راح يسبح فى السائل ، وسره أن له زملاء عمل فى الداخل .. التهاب الكبد (C) زميل فاضل حقًا ، وبينهما زمالة قائمة على الاحترام المتبادل .. التهاب الكبد (G) كذلك من الوجوه الجديدة التى لن يعرف أحد عنها شيئا إلا فى تسعينات القرن العشرين ..

الآن تمسك بالمحقن يد أخرى ، وتتجه به إلى عروق شاب زنجى آخر يريد أن (يعلى مزاجه Gettin´High) كما يقول .. تلمس الإبرة الوريد البارز فى الذراع المعروقة ، يتحرك ليفرغ محتوياته فى الوريد .. الآن وجد نفسه فى عالم جديد يعد بالاحتمالات ..

راح يفتش وسط كريات الدم عن هدفه .. إنه يبغى خلايا معينة . خلايا يطلقون عليها اسم CD4 .. هذه الخلايا يوجد فيها جزء يحبه .. هذا هو مكانه . موطئ قدمه .. البوابة التى يدخل عن طريقها ..

أخيرًا وجد الموضوع .. إنه ـ كأى لص بشرى ـ يحمل (طفاشة) .. وهذه الطفاشة هى نوع من البروتين سوف يطلق عليه علماء البيولوجيا الجزيئية اسم Gp120 يومًا ما .. به اخترق الخلية دون مقاومة ..

الآن يبدأ المرح ....

* * *

فى عام 1981 بدأت السلطات الصحية فى (سان فرانسيسكو) تلاحظ اشياء مريبة ..

ثمة زيادة واضحة فى استهلاك عقار (بنتاميدين Pentamidine) .. وهو عقار يندر أن يوصف ولا يذكره أحد ، لأنه يستعمل فى علاج حالات نادرة من الأمراض الطفيلية ..

هذه هى فائدة الإحصاء .. إنه يمنحك نظرة شمولية من أعلى .. تصور أنك فى الزحام ترى امرأة صلعاء .. ثم بعد قليل تقابل أخرى .. لاتعرف أهمية الظاهرة أو خطورتها إلا حين تقف فوق بناية عالية وتنظر لزحام الناس من تحت .. ما هذا ؟ كل هذا العدد من النسوة الصلعاوات ؟ إن هذا مريب ..

هكذا لم يلحظ أحد زيادة عدد من يستعملون عقار (بنتاميدين) إلا حين جلس أحدهم أمام الحاسب الآلى يراجع الأرقام .. فى الوقت نفسه لوحظت زيادة غير طبيعية فى حالات سرطان (كابوزى Kaposi) وهو سرطان منتشر فى البلدان الاستوائية .. لا أحد يعرف أنه يداهم الناس فى (سان فرانسيسكو) بهذه الكثافة ..

إن هذا مريب ..

وتجتمع السلطات العلمية وتقرر دراسة الموضوع .. الملاحظ أن الظاهرة تنتشر بين الشباب الرقيع مدمن المخدرات فى (سان فرانسيسكو) ..

الآن تدور عجلة البحث العلمى السريعة التى لاتترك تفاصيل ..

هؤلاء الشباب أصيبوا بهذه الأمراض النادرة لأنهم فقدوا المناعة .. لأن جسدهم لم يعد يقاوم أى شىء .. فما معنى هذا ؟

فى الولايات المتحدة كان البروفسور (جالو Gallo) يعمل كالمحموم ، مع البروفسور (جاى ليفى Jay Levy) ، وفى فرنسا كان البروفسور (مونتانييه Montagnier) يبحث مع جهابذة معهد (باستير) .. وتقاربت الرءوس وراحت الهمسات تنتقل ..

إن الأمر يتعلق بالمناعة .. بفقدان المناعة إذا شئنا الدقة ..

وكان علم المناعة حتى ذلك الحين علمًا غامضًا يسخر منه الأطباء السريريون .. أطباء المسماع وجهاز الضغط .. إن علماء المناعة كهنة يجلسون فى مختبراتهم يرددون كلامًا لا يمكن فهمه أو تخيله .. الآن فقط أدرك الأطباء أن هؤلاء الكهنة يعرفون حل اللغز .. وهرع الجميع إلى المعبد يسألون هؤلاء الكهنة أن يعلموهم تلك الألغاز الغامضة ..

وفى نفس الوقت تقريبًا ـ أو هـذا ما يقوله الأمريكيـون الذين لا يقبلون فكرة أى تفوق فرنسى ـ أعلن العالمان عن الفيروس الذى وجداه فى دم المصابين بفقد المناعـة .. فيروس جديد تمامًا ينتمى لأسـرة غريبـة هـى (الفيروسـات القهقريـة) .. وأطلقوا عليه اسم (فيروس عوز المناعـة البشرى) أو HIV ..

قالوا إن الفيروس يختلف عن المـرض .. المـرض الـذى تتدهور فيه المنـاعة إلى أقصى حـد ، ويصـل المريض إلى مرحلة الإصابة بالدرن لو قرأ اسمه مكتوبًا ـ لو كان شـىء كهذا ممكنًا ـ ويكفى أن يمر جوار مريض بالبرد كى يصـاب بالتهاب رئوى يودى بحياته ..

ولدت لفظة جديدة تصف المرض ، وسرعان ما صارت على كل لسان وفى كل جريدة .. لقد ولد تعبير (متلازمـة فقدان المناعة المكتسبة) .. أو .. Acquired Immunodeffiency Syndrome ..

أخـذوا الحـروف الأولـى مـن العبـارة فولـدت اللفظــة المرهوبة ..

الإيدز AIDS ..

3ـ وعكة صغيرة ..

فيما بعد عرفت كل تفاصيل القصة ، فلا تسألنى من أين كل هذا .. إن ما سأحكيه الآن حدث منذ أشهر .. بينما كنت أنا فى (كينيا) أمرح مع (الماساى) ..

كانت الدكتورة (سيمون موليتسار) ـ كما قلت لك ـ مولعة بالبشر .. إنها امرأة فرنسية بالغة النحول فى الخامسة والأربعين من العمر .. لها شعر أسود قصير تقصه كالصبية ، وعينان سوداوان واسعتان تشغلان ثلاثة أرباع وجهها ، كأنهما ثقبان يطلان على روحها .. لهذا لم تستطع قط أن تكذب أو تخدع أحدًا فى حياتها حتى لو أرادت .. كان لها وجه رقيق نبيل يذكرك برسوم الرافائيليين .. ولم يكن أحد قادرًا على إعطائها عمرًا يزيد على الخمسة والعشرين عامًا ، ولو كان من سادة علم (القيافة والعيافة) عند العرب القدامى ..

لم تنجب بعد ، وقد جربت كل شىء ممكن دون جدوى .. إن رحمها لا يحتفظ بالأجنة ، وبرغم كل المحاولات الهرمونية والجراحة التى مرت بها لم تستطع أن تفوز بنعمة الأمومة

إن الأمومة بالنسبة للمرأة جزء من تحقيق كيانها ذاته .. وهو أمر يختلف كثيرًا عن الأبوة بالنسبة للرجل .. فالرجل ـ فعلاً ـ لايلاحظ أطفاله ولا يحبهم إلا حين يعتادهم .. بينما الأم تهيم حبًا برضيعها منذ يخرج إلى الحياة ملوثًا بالدم والمخاط .. الفتاة الصغيرة تقضى وقتها فى بروفة طويلة للأمومة ، على غرار تمشيط دميتها وتبديل كافولتها ـ لو كان أبوها ثريًا إلى حد شراء دمية بكافولة ـ بينما الطفل يطلق الرصاص كالأبله من مسدس فلين .. باختصار هى تتدرب على تحقيق ذاتها ، بينما هو يضيع وقته فى هراء لا أول له ولا آخر ..

وكان الزوج رجلاً لطيفًا بيتيًا .. لكنه فى الآونة الأخيرة يخرج كثيرًا جدًا ويعود فى ساعة متأخرة ..

وبذكاء الأنثى ـ مع الكثير من التحريات ـ عرفت (سيمون) أن الزوج يقضى سهرته فى ناد صغير على أطراف (أنجاوانديرى) يؤمه بعض الأوروبيين .. ربما كانت سهرات بريئة وربما لم تكن . لكن انشغالها فى العمل لم يتح لها فرصة معرفة تفاصيل أكثر .. قدرت أنه على كل حال يفعل ما يفعله الطفل : يطلق الرصاص كالأبله من مسدس فلين ..

كانت تؤمن بحقيقة أن الاحتفاظ بزوجها يزداد صعوبة ..

فهى فى نهاية رحلتها كأنثى شابة .. بينما هو يمر بأزمة منتصف العمر المعروفة .. لهذا قررت أن بعض الحرية له لن تؤذيه كثيرًا ..

فى تلك الليلة عاد للدار مبكرًا ..

كانت الخادم الإفريقية قد انصرفت من قليل .. والدكتورة جالسة أمام التلفزيون تشاهد فيلمًا سخيفًا على جهاز الفيديو .. ولاحظت أنه دخل فى صمت ، فهز رأسه وهو يمر أمام الشاشة .. ثم اتجه إلى غرفة النوم ..

حسن .. لم يكن هذا معتادًا .. من المعتاد أن يجلس ويثرثر ويضحك قليلاً .. لكنها تفهم أن وجهه مسود وهو كظيم .. ثمة شىء ما خطأ ..

خفضت صوت التلفزيون ، وسألته بصوت عال :

ـ « هل أنت بخير ؟ »

ـ « نعم .. أعتقد هذا .. »

جاء صوته من غرفة النوم .. لكن كل شىء فيه يشى بأنه ليس بخير على الإطلاق ..

اتجهت إلى غرفة النوم لترى ما هنالك ، فأثار دهشتها

أنه يرقد على الفراش بكامل ثيابه ، وهى ثياب صيفية طبعًا لأننا فى (الكاميرون) هنا .. لكنه قد فتح سترته ليسمح للهواء بلمس صدره ..

كان (لوى مولينسار) رجلاً فى الخمسين من العمر تقريبًا .. بدأ الشعر يزول عن مقدمة رأسه وكون كرشًا صغيرًا يعتز به كثيرًا ويحرص على تنميته أكثر . ويبدو فى كل لحظة كأنما يشعر بألم فى معدته .. بالإضافة إلى عينيه (الفرنسيتين) الصغيرتين جدًا بالنسبة لوجهه .. هذا كله يعطيه انطباعًا مروعًا حين يمرض ..

وضعت يدها على صدره فأدركت على الفور أن حرارته مرتفعة قليلاً ..

ـ « أنت محموم ؟ »

ـ « متوعك قليلاً .. هذه هى الكلمة الدقيقة .. »

ـ « هل ثمة أعراض أخرى ؟ » ـ وأشارت لحلقها ـ « حلق ؟ » ـ وأشارت لصدرها ـ « سعال ؟ أى شىء ؟ »

تحسس حلقه قليلاً وقال فى لا مبالاة :

ـ « صعوبة عابرة فى البلع .. هذا لاشىء .. »

وكانت تعرف ككل طبيب موضوع فيروس الأربع والعشرين ساعة .. الفيروس الذى يظهر فجأة ويسبب المرض يومًا أو أقل ، ثم يذهب كما جاء دون أن يعرف أحد ماذا كان .. ودون أن يسبب أية مشاكل ..

لهذا اتجهت إلى خزانة الدواء فى الحمام وأخرجت قرصين من (الأسبيرين) الفوار .. ثم عادت له فنهض وتجرع الكوب وأطلق شهقة توحى بالارتياح .. وقال وهو يريح رأسه :

ـ « سأعيش على الأرجح .. إن هذه الأشياء العابرة تحدث .. »

ابتسمت متفهمة ، وعادت تسأله :

ـ « لا عشاء هذه الليلة ؟ »

ـ « لا .. لا عشاء من فضلك .. فقط أرغب فى النوم .. »

وأغمض عينيه على الفور ، وغاب فى نعاس عميق .
لهذا قررت أن تقوم بما تقوم به زوجة محبة عادية ، وشرعت تنزع عنه الحذاءين وبصعوبة بدلت ثيابه . ثم أغلقت النور وجلست تتابع التلفزيون ..

وغدًا يوم آخر ..

★ ★ ★

لكن الأمور لم تتحسن كثيرًا فى اليوم التالى ..

فى الصباح عرفت أنه سيظل فى الدار .. لايمكنها أن تقول إنه مريض لكنه بالفعل ليس على ما يرام .. وقررت أن الوقت قد حان لإعطائه علاجًا إمبريقيًا على طريقة الأطباء المعهودة .. يأخذون قرصين من أية عينة يجدونها لديهم فى لحظة ، ثم ينسون الأمر بالكامل .. لهذا تتفاقم أمراضهم بسبب يقينهم الخاطئ أنهم وراء المدفع ولا يمكن أن يكونوا أمامه .. وكأن المرض زميل عمل معهم يحترمهم ولا يمكن أن يؤذيهم مهما بلغت مضايقاته ..

هكذا بدأت بإعطائه عقارًا محايدًا هو (الأموكسيسيللين) .. وقدرت أنه لو كانت هناك عدوى باكتيرية ما فلسوف يقضى عليها هذا المضاد الحيوى الخفيف ..

قال وهو يتحسس عنقه :

ـ « أعتقد أنك محقة بصدد الخلق .. هناك .. تلك العقد هنا .. »

مدت أناملها تتحسس ما تحت ذقنه وخلف زاوية فكه .. حقًا كانت هناك عقد لمفاوية صغيرة .. لا يمكن أن تعتبرها مخيفة أو محترمة .. إن أعناق الرجال تعج بهذه العقد اللمفاوية من أثر الحلاقة ..

قالت له وهى تتأهب للذهاب للعمل :

ـ « حاول أن تنسى .. »

وكانت السيارة الجيب الخاصة بوحدة (سافارى) تنتظرها خارج (الفيلا) ، وهذه تأخذها والدكتور (دولا لوبولو) والطبيبين الشابين إلى بناية (سافارى) .. إن الرحلة على القدمين لا تزيد على خمس دقائق تتحول إلى ثوان مع السيارة ..

وهكذا بدأت الدكتورة عملها فى قسم أمراض العيون ، مع العبقرى الأسبانى (شافيز) .. ومع (أبراهام ليفى) الذى يلعب فى عالمى دور شرير الفيلم ..

من المصادفات الغريبة فى هذا اليوم بالذات ، أن الحديث دار عن زوجها عرضًا ..

لقد سألها البروفسور الأسبانى عنه .. فقالت إنه على ما يرام ..

ـ « سمعت أنه مولع بالتردد على (مولانجا) .. »

قالها بلهجة ذات معنى فلم تفهم .. لكنها خجلت من أن تبدو آخر من يعلم .. لذا هزت رأسها بمعنى أن المعلومة قديمة .. (ثم ماذا بعد ؟) ..

أردف باسمًا :

- « (مولانجا) هو ناد صغير محلى .. إن أوروبيين كثيرين يجتمعون هناك .. هناك الكثير من الشراب والرقص .. ربما المخدرات كذلك .. وإننى لأنصحك : الرجال أطفال كبار يسهل أن تنزلق أقدامهم فى الشرك .. »

ثم ألصق ذقنه بالمصباح الشقى - بكسر الشين وتشديد القاف - ليواجه عينى المريض الجالس من الناحية الأخرى ، وقال :

- « ليس مسيو (مولنسار) طبعًا .. فهو ليس من هذا الطراز .. لكن كل النساء يحسبن أزواجهن ليسوا من هذا الطراز .. »

قالت فى كبرياء وهى تغادر العيادة :

- « وهن دائمًا على حق !! »

وفكرت فى أن البروفسور (شافيز) طبيب عظيم .. لكن اللياقة تنقصه .. كيف سمح لنفسه بالتدخل فى شئونها بهذا الشكل ؟ هؤلاء العلماء الكبار ينهمكون بالعلم إلى حد أنهم يصيرون أطفالاً شديدى الخرق حين يتعاملون مع المجتمع ..

(مولانجا) .. (مولانجا) ..

لكنها كانت تعرف أن هذا الهاجس سيلاحقها طويلاً ..

هذه قطرة شريرة من السم تسقط فى الجدول الرائق لثقتها بزوجها .. بل جدول ثقتها بنفسها ..

★ ★ ★

عادت للدار عصرًا ، وفتحت الباب ..

ـ « (لوى ى ى) ! هل أنت هنا ؟ »

جاء صوته من غرفة النوم مما دلها على أنه ما زال مريضًا ..

اتجهت إلى هناك وألقت نظرة على جسده الراقد منهكًا فى الفراش ، فى الإضاءة المعتمة للغرفة .. كان عارى الجذع وقد فرد ذراعيه إلى جانبه ، بينما كرشه الصغير يعلو ويهبط مع نفسه ..

ـ « هل أنت أفضل ؟ »

ـ « لا .. هناك جديد .. »

أزاحت الستائر عن النافذة فأدركت لماذا هو عارى الجذع .. لقد كان هناك طفح جلدى يكسو صدره وظهره .. طفح بقعى وحبيبى فى بعض المواضع وإن ابتعد عن ذراعيه وقدميه ..

راحت تتفحص الطفح ، ولم تكن خبيرة بالأمراض الجلدية لكن الطفح لم يبد لها من الطراز المصاحب للحساسية .. ثم إنه تعاطى (الأسبيرين) و(الأموكسيسيللين) من قبل ..

ـ « ما هذا ؟ »

قالت وهى تفرك الطفح بظفرها :

ـ « لا أعرف .. »

نفخ فى ضيق وقال :

ـ « تزوجت طبيبة .. لكنى منذ تزوجتك لا أتلقى إلا إجابة واحدة على كل شىء : لا أعرف .. »

ـ « وما ذنبى إذا كنت مصرًا على أن تظل عيناك كعينى صقر ؟ قل لى غدًا إنك لا تبصر أو إن هناك سحابة بيضاء تحجب الرؤية ، ولسوف تعرف وقتها أننى لم أحصل على شهاداتى بالمراسلة .. »

ـ « سأنتظر ذلك اليوم بشوق .. »

فكرت قليلاً ثم سألته بشكل عملى :

ـ « هل نذهب إلى الوحدة ليفحصك طبيب أمراض جلدية ؟ »

ـ « لا .. مازلت مؤمنًا بأن هذه وعكة ستزول سريعًا .. »

* * *

بعد يومين انتهت القصة ..

لقد زالت الحمى ، وعاد يمرح ويمزح ويأكل كدودة القز ..

زال الطفح الجلدى وتلاشت العقد اللمفاوية ..

حقًا كان هذا فيروس الأربع والعشرين ساعة كما توقعت بالضبط .. صحيح أن الأربع والعشرين ساعة طالت قليلاً لكن من قال إن الفيروسات تملك ساعة يد ؟ ولو كانت تملك فمن قال إنها ساعة مضبوطة ؟

أروع ما فى هذه الوعكات البسيطة هو ثقتك التامة فى أنها ستنتهى حتمًا ..

★ ★ ★

4 ـ نجاح مضطرد ..

هو الآن داخل الخلية CD4 ..

إنه يشعر برضا عن النفس لأنه لم يعد (ذلك الوغد المجهول) .. وإنما صار له اسم مهيب محترم .. HIV .. ما أجمله من اسم ! له رنين مخيف يوحي بالرهبة والتوجس ..

إنه أشهر اسم فى العالم الآن .. لا بد من أن تجده فى كل جريدة أو مجلة .. مَن من زعماء العالم ، ومَن من ممثلى (هوليوود) يزعم الشىء ذاته ؟

بل إن بعض المشاهير الذين غاب عنهم الضوء ، عادوا إليه بقوة حين أصابهم هذا الفيروس .. ألم يعد اسم الممثل (روك هدسون) يحتل كل وسائل الإعلام ؟ ألم تتسابق الصحف فى ترشيح الضحية القادمة لهذا القاتل الذى لا يمزح ؟ هل هو (مايكل جاكسون) أم (مادونا) أم (بوى جورج) ؟

هذه الخلية ذات أهمية استراتيجية قصوى فى الجهاز المناعى للجسم .. إنها تنتمى لمجموعة من الخلايا يقال لها (الخلايا اللمفاوية) .. وهى أنواع شتى ، لكن هذه الخلية بالذات من طراز اسمه (الخلايا المساعدة) ..

الآن يتكاثر ..

هو يعرف كيف يفعل هذا .. إن الفيروس يستغل الخلية بشكل غير إنسانى .. يستخدمها كمصنع لحسابه الخاص .. يستخدم كل مواردها وثرواتها الطبيعية ليصنع ما يلزمه هو .. وهكذا تتحول الخلية إلى مصنع لا يخدم نفسه .. لكن يخدم الغازى ..

هذه الطريقة التى يصنع بها هذا الفيروس الفريد نسخًا عدة منه تسمى (الاستنساخ القهقرى) .. ولهذا يطلق على هذه الفيروسات اسم (الفيروسات القهقرية Retroviruses) ..

الآن هناك ملايين منه ..

موارد الخلية قد انتهت ..

لم تعد لها جدوى ..

إنها تموت والفيروسات الوليدة تغادرها بحثًا عن خلايا أخرى ..

إنها تقابل بعض الزملاء فى أثناء سباحتها فى الدم .. زملاء دخلوا بنفس الطريقة تقريبًا .. تقابل فيروس التهاب الكبد C الخبيث المراوغ ، وهو يتجه نحو الكبد لينسف خلاياه نسفًا ، وربما ليبدأ بذور السرطان هناك .. تقابل باكتيريا تسبح بطريقة لولبية رشيقة .. إنها باكتيريا الزهرى ذاهبة للبحث عن المتاعب فى الجهاز العصبى أو الدورى أو التناسلى ..

ربما تبادل هؤلاء الزملاء تحية هز الرأس وانطلق كل منهم نحو هدفه .. هم يعرفون أن نجاحهم يعنى دمارهم فى الوقت ذاته .. معنى نجاحهم أنهم سيقضون على الكائن الذى يمنحهم المأوى .. وهذا يعنى أن عليهم أن يجدوا أول فرصة للرحيل إلى جسد آخر ..

حتى ذلك الحين هناك الكثير من المرح ..

* * *

كان الزنجى الجديد يمارس الآن حياته بشكل شبه طبيعى ..

لقد مر أسبوعان منذ أخذ تلك الحقنة الملوثة ..

فقط هو يمر بوعكة بسيطة جدًا .. وعكة لا تختلف عن نزلات البرد التى نصاب بها مرارًا كل عام .. هناك سخونة .. التهاب فى الحلق .. طفح بسيط فى الجلد (وهنا الاختلاف الوحيد) وربما بعض العقد اللمفاوية البسيطة فى جسده ..

إن الجسم يحاول مقاومة هذا الدخيل .. يحاول فهم ما يحدث .. هذه هى (المتلازمة القهقرية الحادة) ..

لكن الأمور تمر على ما يرام ، وسرعان ما يستعيد الفتى عافيته ..

وهو ذا يجول فى الشوارع بحثًا عن مزيد من اللهو ..

إنه عابث لا يعرف بالكارثة التى يحملها جسده ، والتى تمارس عملها بنشاط ممتاز ..

لقد منحه المرض هدنة لا بأس بها مدتها سبعة ايام .. ربما عشرة .. سيكون الفتى عندها قد نسى كل شىء عن الوعكة العابرة التى مرت به .. لكن الفيروس لا ينسى ..

لسوف يعود ليعلن عن نفسه حين ينخفض عدد الخلايا عن المائتين .. عندها يعلن عن نفسه بشراسة ..

أما الآن فلديه عمل كثير يقوم به .. إنه أحيانًا يدمر الخلية وحدها ، وأحيانًا يدمر مجموعة من الخلايا فى آن واحد ويجعلها تلتحم فى بعضها على شكل مدمج .. هذه تقنية يعوض بها نقص عدد قواته .. هذا المدمج يجذب إليه المزيد من خلايا المناعة ..

وفى الآن ذاته يجرب حظه مع ضحايا آخرين .. إن الفتى ما زال يمارس حياة الليل ، هناك الكثير من المخدرات والمحاقن التى تنغرس فى عروق الرفاق .. ذات مرة تراهن مع أصدقائه على أنه سيتبرع بدمه .. لقد اتهموه بأنه (دجاجة) جبانة فقرر على سبيل المرح أن يتبرع ببعض

دمه .. وفى هذا الوقت لم يكن أحد يفتش عن الفيروس فى دماء المتبرعين .. كيف تفتش عن شىء لاتعرف أنه موجود ؟ يجب أن نقول هنا إن كل من تلقى دمًا بين عامى 1878 و1985 هو مريض بالفيروس إلى أن يثبت العكس .. والسبب هو أن الفيروس كان موجودًا بوفرة لكن أحدًا لم يكن يبحث عنه ..

هذا الكيس المليء بالدم راح يتنقل من يد ليد ..

أخيرًا وجد طريقه إلى عروق مدير مبيعات فى شركة عطور .. لقد انقلبت سيارته على الطريق ونزف كثيرًا .. وكان لابد من نقل دم له ، لذا أحضروا له هذا الكيس من نفس الفصيلة .

وقال الطبيب الشاب وهو يفتح الصمام ليتدفق الدم فى عروق الجريح :

ـ « لقد وجدنا فصيلتك دون جهد .. أنت إنسان محظوظ .. فعلاً محظوظ !! »

★ ★ ★

ربما وصف المرض فى (سان فرانسيسكو) أول مرة ، لكن من المؤكد أنه ظهر فى إفريقيا أولاً .. ومتى وأين ؟

لا أحد يعرف .. لكن الحقيقة المفزعة هى أن إفريقيا التى تمثل عشر سكان العالم تمثل ستة أعشار حالات المرض فى العالم كله .. وفيما بعد حين عرف العالم كيف يوقف المرض إلى حد ما ، فإن القارة الأفقر والأكثر تخلفًا فى العالم ، ظلت هى الموطن الأساسى لمرض الإيدز ، على حين تعلم الغرب كيف يتقى الوباء .. وأعلن بثقة : « إن الإيدز مرض قابل للمنع » .. وعلى عكس ما نعتقده فإن أمريكا الشمالية لا تشكل أكثر من خمس حالات المرض فى العالم ..

هذا منطقى .. إن الأدوية باهظة الثمن لا تقدر عليها إفريقيا ، والتعليمات الصحية لا تلقى أذنًا صاغية ، وبعض هؤلاء القوم يحبون حياة بلا ضوابط كأنهم القردة فوق الأشجار ..

كان الفيروس يمرح فى دم ضحيته الجديدة وضحايا آخرين ..

كان صامتًا خبيثًا لا يعلن عن نفسه ، على عكس بكتيريا الزهرى البلهاء الساذجة التى تفضح نفسها من البداية ، وتجعل المريض يهرع مذعورًا إلى أقرب طبيب .. البكتيريا الهشة التى تقتلها بضع جرعات من البنسلين ..

إن الفيروس واهن ضعيف .. هو يعرف هذا .. إنه لا يعيش طويلاً خارج الجسم وتفتك به المطهرات بسرعة .. لا تنقله الحشرات مثلما تنقل الملاريا ، برغم أن أحدًا لا يعرف سر ذلك .. لا بد من جرعات عالية منه كي يصيب المريض ..

هو يعرف أنه واهن ضعيف ، لذا يلجأ إلى الحيلة المثلى للضعفاء . الخبث .. والمزيد من الخبث .. ادّعاء البراءة ..

لهذا لا يفتش المريض عنه .. ولا يعرف عنه شيئًا ..

عندما يعتقد أنه نجا وأن الأمر انتهى .. عندها فقط يعلن الفيروس عن نفسه ..

★ ★ ★

5ـ التقرير..

الآن تسير الحياة بشكل منتظم ..

صار زوجها بيتيًا من جديد .. وهذا لا ينفى أنه اجتماعى كذلك ..

لقد جئت أنا و(برنادت) عائدين من (كينيا) لنسكن جوارهما فى تلك الفيلا الصغيرة ، وكان هذا غاية المراد .. لقد قررا أن يعنيا بنا بمزيج من واجب الجيرة وعاطفة البنوة المفتقدة ..

لقد خرجت د . (سيمون) من دارها فى صباح العطلة لتجدنى و(برنادت) منهمكين فى عمل عجيب نوعًا ، هو قطع الأعشاب فى الحديقة بسكين عملاقة كأننا نستكشف أدغال الأمازون .. وكانت هناك عشرات من أكياس القمامة امتلأت بأشياء يجب التخلص منها .. هكذا قررت أن الوقت قد حان للتدخل والمساعدة ، وارتدت ثيابًا تناسب هذا العمل ، بينما قرر زوجها أن ينقل الأكياس معى خارج الفيلا ..

وهكذا تم التعارف .. طبعًا لا توجد مشكلة لأن د . (سيمون) تعرفنى و(ماجى) أعمق بطبيعة الحالة .. الأخيرة موجودة

من قبل أن آتى .. الأخـيرة كندية فرانكفونيـة الثقافـة .. ثـم إنـها ـ لو كنت سريع الملاحظة ـ امرأة ..

أما أنا فقد صادقت الزوج .. لم يبد لى رجلاً سخيفاً .. بل هو خدوم بالفعل .. على كل حال لـم ألق فرنسيين أو بلجيكيين سيئين منذ توغلت فى إفريقيا .. لكنى لن أنخدع .. لا يوجد شعب من الملائكة ، فلابـد أن الذين كـانوا يدنسون الأزهر ويذبحون الأطفال فى الكونغو ويقتلون الثوار فى الجزائر لم يأتوا مع هؤلاء .. إنهم فى بلادهم أو لم يصحوا مبكراً للحاق بالطائرة .. وعلى كل حال ـ برغم مقتى للسياسة الأمريكيـة عامة ـ فإننى أحب (آرثر شيلبى) .. ومازلت أجد أن كل أمريكى جذاب جداً لو تعاملت معه بشكل منفرد .. هذا يؤكـد القاعدة ولا ينفيها ..

الشىء الوحيد الذى ضايقنى هو أنهما اجتماعيان جداً .. لست ذئباً متوحداً أو سمكة (المقاتل السيامى) لكنـى أحب أن أترك وشأنى بعض الوقت ، لكن هذين قررا أن العناية بنا واجب ..

وفى ذلك اليوم الذى تبدأ فيه علاقتى بالقصة كنت فى الفيـلا وحدى ، بعد عودتى من العمل .. إن عمل (برنادت) سيمتد إلى الليل على الأرجح ، وقد قـررت أن أذهب إليهـا حيـن تغرب الشمس لأرى ما قد تحتاج إليه ..

هنا سمعت دقات على الباب ففتحته لأجد الزوج الفرنسى ، وكان يرتدى سترة تدريب وذقنه غير حليقة ..

ـ « هل أنت وحدك ؟ »

هززت رأسى وأنا أتوقع هجمة المودة القادمة ..

ـ « لم لا تأتى عندى لنمضى بعض الوقت ؟ لا أعتقد أنك ستظفر ببعض الطعام إلا ليلاً .. »

هززت رأسى .. الحقيقة أن هذه هى الحقيقة بالضبط .. وكنا فى تلك المرحلة التى يمر بها كل من ينتقل إلى بيت آخر .. فى كل لحظة تكتشف تفاصيل جديدة .. ما هذا ؟ ألم نحضر ثقابًا ؟ ما هذا ؟ لا يوجد معجون أسنان .. ماذا ؟ لا يوجد شاى ؟ أين ذهبت تلك المكنسة ؟ إلخ ..

هكذا أغلقت الباب ولحقت به إلى الفيلا المجاورة ..

طبعًا كانت بحالة أفضل بكثير .. ليسا فاحشى الثراء لكن حياتهما مريحة جميلة .. هناك ذوق راق فى كل مكان .. وبصعوبة يمكن أن تتخيل أنك فى إفريقيا على حدود الدغل ..

قال لى باسمًا :

ـ « هل تحب أن تجلس لتشاهد التلفزيون أم تأتى معى للمطبخ أثناء إعداد المكرونة ؟ »

قلت له إننى أفضل بالتأكيد أن أذهب معه إلى المطبخ ..

وهكذا وضع مريولة الطهى ، ووقفت معه وسط المطبخ الذى أعد على طراز حديث ليكون مركز البيت .. وبدأ تقطيع البصل ، وقال لى وهو يحاول منع المخاط من أن يسيل عن طريق الاستنشاق :

- « إنها طريقة إيطالية ممتازة .. لكنى سأستغنى عن بعض المكونات من أجلك .. »

فى الغالب يتحدث عن النبيذ أو شحم الخنزير .. ولما رأيت حالته تتدهور أخذت منه السكين ورحت أقطع البصل بنفسى .. اتجه فى حماسة ليفتح علبة تونة وعلبة من شرائح الزيتون .. الحق أن لعابى بدأ يسيل .. لم أجرب قط المكرونة بالتونة والزيتون لكنها لا تبدو فكرة سيئة إلى هذا الحد ..

فجأة سألنى سؤالاً مباغتًا لم أتوقعه :

- « لماذا يفقد المرء وزنًا وترتفع حرارته دون تفسير ؟ »

لا أعرف .. ما علاقة هذا بالمكرونة .. لكنى على كل حال أعرف عادة الناس فى التفتيش عن أية شكوى إذا كانوا يحدثون طبيبًا .. ولماذا لا يسأل زوجته ؟

قلت وأنا فى أسوأ حال من الدموع :

ـ « شن ! يحدث هذا مع كل الحميات تقريبًا .. إن ارتفاع الحرارة هو عملية حرق .. شن ! لمخزون الجسد من السعرات .. يجب أن تعلق أهمية خاصة على الدرن .. وطبعًا ثلاثية فقدان الوزن والحمى والإسهال بلا تفسير على مدى شهر هى جزء من .. شن ! من تعريف منظمة الصحة العالمية WHO لمرض الإيدز .. لماذا تسأل ؟ شن ! »

لم ألحظ أنه توقف عن إفراغ ما فى يده فى الصحن ..

لم ألحظ أن العضلة فى صدغه انقبضت ..

لم ألحظ أنه نظر لظهرى نظرة طويلة حادة ..

فقط قال بعد هنيهة من الصمت :

ـ « أسأل عن صديق لى .. هل انتهيت من البصل ؟ هذا هو أعقد جزء فى العملية .. »

بعد قليل كنا جالسين أمام التلفزيون وفى يد كل منا طبق من المكرونة الساخنة يتصاعد منه البخار ..

سألته وأنا ألف المكرونة الطويلة حول الشوكة :

ـ « واضح أنك تجيد أعمال البيت .. »

ـ « أنا سيدة الدار هنا .. إننى لا أعمل كل يوم .. أحيانًا أمضى أسبوعًا كاملاً بلا عمل حتى يأتينى استدعاء إلى (ياوندى) .. بينما زوجتى تخرج وتعود فى مواعيد منتظمة .. دعك من الاستدعاءات الليلية .. »

ـ « وهل تحب (أنجاوانديرى) ؟ »

ـ « ليس إلى هذا الحد .. اعتدت حياة المدن .. لكن زوجتى مسرورة بالعمل هنا . تشعر بأنها .. »

(ألبرت شفايتزر) .. هذا الرمز الذى يعتنقه كل طبيب متحمس فى إفريقيا .. الناس لا تعمل فى الأدغال حيث الموت وراء كل غصن شجرة ، إلا لأنها تربح كثيرًا جدًا أو لأنها تريد تحقيق رسالة ما .. ثمة سبب ثالث لا أعرف واحدًا جاء من أجله ما عداى : الرغبة فى الابتعاد .. البحث عن الذات بعيدًا عن مسقط رأس هذه الذات ..

(ذهب ليبحث عن أمريكا فوجد نفسه) .. هذا هو شعار فيلم (يرقص مع الذئاب Dances With Wolves) الذى لعب فيه (كيفين كوستنر) دور جندى أمريكى سئم الحرب الأهلية ، فقرر أن يذهب إلى مكان منعزل ناء ، وأن يراقب الهنود الحمر .. وهنا فقط وجد الأصدقاء ووجد الحب .. وجد نفسه .. هذا الفيلم لم يفارق مخيلتى قط ..

سمعنا الباب يفتح ، وجاءت الزوجة .. فنهضت فى حرج فقد كنت جالسًا على راحتى وقد ثنيت قدمى على المقعد فى وضع القرفصاء ..

قالت فى مرح وهى تضع ما معها من أوراق على الأريكة :

ـ « د . (عبد العظيم) هنا ؟ أرجو أن تكونا قضيتما وقتًا طيبًا ؟ »

ـ « المكرونة كانت رائعة .. إن هذه فكرتى عن الوقت الطيب على كل حال .. »

ثم هززت رأسى وأعلنت أن الوقت قد حان للانصراف .. عندنا فى مصر مثل يقول : (الضيف المجنون .. يأكل ويقوم) .. لكنهما لا يعرفانه لحسن الحظ ..

ـ « اثنان ظريفان .. »

قلتها لنفسى وأنا أقطع الأمتار المعدودة متجهًا إلى دارى ..

* * *

بعد أسبوع :

نام (لوى) فى وقت مبكر فى أثناء قراءته لـ (راسين Racine) كعادته قبل النوم ..

كانت هى جالسة جواره فى الفراش جوار الأباجورة المضاءة تطالع بعض دوريات أمراض العيون .. وقد ابتسمت لرؤية وجهه الطفل الوادع وقد سقط تمامًا فى لجة الأحلام .. التقطت الكتاب ووضعته جانبًا وغطته بعناية .. إن الليل بارد هذه الأيام وهذا شىء يصعب تخيله بالنسبة لمن يجرب جو النهار ..

كانت تحبه حقًا .. وحتى اليوم مازالت تحبه .. وقد جربته أكثر من مرة وتعرف جيدًا أنه إنسان طيب .. له أخطاؤه القاتلة لكنه إنسان طيب فى النهاية .. ثمة خيط واه جدًا بين الشيطان والطفل الذى يتشيطن .. نمقت الأول ونلعنه ونستعيذ بالله منه ، ونوبخ الثانى لكننا فى نهاية اليوم نلثم جبهته وهو نائم ونضمه فى رفق .. و(لوى) كان مجرد طفل شقى ..

كانت تعرف أنه قلق فى الآونة الأخيرة .. لا تعرف السبب لكنه لا يتعلق بذلك النادى المشنوم . هو لم يعد يفارق الدار من زمن .. هذا لغز آخر لا تعرفه .. لكنه سيتكلم .. حتمًا سيتكلم ..

راحت تطالع الأوراق محاولة التركيز ..

ثم تذكرت أنها غير كاملة .. هناك عدد من إحدى المجلات يبدو أنها نسيته فى غرفة المعيشة ..

نهضت إلى هناك فى رفق ، وبحثت فوجدت أن زوجها وضع كل الأوراق والصحف فى المكتبة الصغيرة المعلقة على الجدار ..

تناولت الأوراق وراحت تفتش فيها .. ما هذا ؟

أضاءت مصباح النيون المعلق فوق المكتبة لترى أفضل ..

مظروف صغير عليه شعار مستشفى فى (ياوندى) ، ويحمل اسم زوجها :

السيد (لوى مولينسار) ..

فتحت المظروف لتجد ورقة واحدة يبدو أنها تخص مختبرًا ما .. وكان التقرير يقول :

اختبار الجسم المضاد لـ HIV باستخدام إليزا : موجب

اختبار البقعة الغربية Western Blot : موجب

يرجى الاتصال بمختبرات وزارة الصحة فى (ياوندى) لاستكمال الفحوص على وجه السرعة .

وبعقل مشوش لايعى ما يفعل ، نقلت المكتوب فى الورقة إلى وريقة صغيرة ودستها فى حقيبتها ..

ثم عادت إلى الفراش ..

لكنها لم تنم ..

* * *

حين دخلت د . (سيمون) إلى المختبر فى الصباح كانت (هيلجا) الألمانية الشمطاء منهمكة فى افتراسى كالعادة .. من سوء حظى أننى وقعت فى قبضتها ولمدة شهر كامل .. وهى أسوأ بداية لعودتى إلى (سافارى) حتى إن (كليمنجارو) لم يعد يبدو بهذا السوء ..

كانت منهمكة فى توبيخى على شىء ما ، ربما لأننى ما زلت حيًا .. وكنت أنا قد صرت خبيرًا بهذه المرأة وأعرف كيف أثير جنونها دون خطأ واحد تمسكه على ..

حين دخلت د . (سيمون) ورأتنى ـ أنا جارها ـ امتقع وجهها قليلاً وارتبكت .. وكذا امتقعت أنا لأننى لا أحب أن يرانى أحد أثناء عملية الافتراس .. افتراسى أنا ..

حيَّتنى بعصبية وبهزة رأس ، بينما حيَّت د. (هيلجا) بحرارة أكثر ..

قالت (هيلجا) وهى تفرغ أنبوب اختبار فى الحوض :

ـ « إن هذا الشاب يريد قتلى .. لا يستطيع أبدًا تمييز خلايا سرطان الدم .. وما أكثر سرطان الدم لدى هؤلاء الأطفال الأفارقة .. إنهم يصابون بسرطان الدم حين لا يجدون شيئًا أفضل يفعلونه .. »

قالت لها د . (سيمون) فى كياسة :

ـ « هل لى أن اسألك عن شىء على انفراد .. »

ـ « بالطبع أيتها العزيزة .. إن مكتبى يصلح .. »

واقتادتها إلى مكتبها الذى أحيط بالزجاج كى تراقب كل دقيقة فى المختبر .. ولم تنس أن تنظر لى نظرة نارية من طراز (سأعود ـ فلا ـ تفرح) .. ولربما هى من طراز (أنا ـ لم ـ أنته ـ منك ـ بعد) ..

حين اختلت المرأتان بنفسيهما ، قالت (سيمون) وهى تخرج وريقة من جيبها :

ـ « ما معنى هذه الأبحاث ؟ »

نزعت (هيلجا) قفازيها ، ووضعت عويناتها لترى أفضل ، ونظرت إلى الورقة المكتوبة بخط اليد سريعًا ، ثم قالت وهى تعيدها إلى (سيمون) :

- « هذه عدوى بفيروس HIV بدون شك .. هل هو مريض عندك ؟ »

- « نعم .. نعم .. هل تعنين أنها حالة إيدز ؟ »

ضحكت (هيلجا) فى قسوة وقالت :

- « ما بك يا دكتورة ؟ هل نسيت الطب فجأة ؟ »

بارتباك قالت (سيمون) :

- « فقط أريد أن أتأكد .. »

والحقيقة أنها كانت تعرف ما يعنيه هذا طبعًا ، لكنها لم تملك الجرأة قط كى تعلنه لنفسها .. كانت تأمل فى وجود ثغرة ما .. ثغرة واحدة ..

قالت (هيلجا) وهى تسترخى فى مقعدها كما يفعل التجار فى وكالة البلح (كلما رأيتها جالسة شعرت بأن على أن أصفق لأطلب لها شايًا وحجرين من الدخان) :

- « هذه عدوى بفيروس HIV لكنها ليست حالة إيدز .. فقط يمكن أن نصفها بأنها حالة إيدز لو هبطت خلايا CD4 عن مائتى خلية ، وبدأت العدوى الانتهازية .. بمعنى آخر هذه المعلومات ناقصة .. »

ثم بحثت عن تشبيه يوضح الصورة أكثر فوجدت واحدًا :

ـ « إن امتلاء رأسك بالقمل لا يعنى أنك مصابة بالتيفوس .. »

وراق لها التشبيه (الذكى) فراحت تضحك حتى دمعت عيناها .. فسألتها (سيمون) التى لم تحب الدعابة كثيرًا :

ـ « وما هى احتمالات أن يتحول إلى (إيدز) ؟ »

ـ « هذا يتوقف .. لكن عددًا كبيرًا من الحالات يتحول إلى إيدز صريح خلال خمس إلى عشر سنوات .. حوالى النصف .. »

من جديد تداعب (سيمون) الأمل محاولة أن تمسك به :

ـ « لكن .. اختبار إليزا هذا .. سمعت أنه يخطئ غالبًا .. »

ـ « نعم .. يعطى نتائج موجبة زائفة .. إن 29 من كل 30 حالة موجبة تكون زائفة .. تصورى هذا ! هناك واحد فقط بين الثلاثين يتضح أنه مصاب بالمرض فعلاً .. »

الأمل ينمو ليتحول إلى شجرة مورقة :

ـ « إذن .. هذا التحليل مجرد هراء لا يوثق به .. ولو أجريناه على كوب ماء لأثبت لنا أنه مصاب بالفيروس .. »

فى قسوة قالت (هيلجا) :

- « تقريبًا هو كذلك .. حين يكون موجبًا نتحقق من الأمر ، وحين يكون سالبًا فإننا نستبعد الفيروس باطمئنان .. إنه اختبار نفى جيد Good Negative لو كنت تفهمين ما أعنيه .. ولهذا نتأكد من التحليل الأول الموجب بالتحليل الثانى : البقعة الغربية .. إنه يؤكد النتيجة .. هذا المريض أجراها وبالتالى هو بالفعل مصاب بفيروس HIV .. لا شك فى هذا .. »

عادت (سيمون) تفكر .. أسئلة كثيرة تصطرع فى ذهنها .. ولحظتها فقط تمنت لو كانت خبيرة فيروسات بدلاً من أمراض العيون ..

- « لنفرض أننى أصبت بوخزة إبرة منه .. هل أصاب بالعدوى ؟ »

- « فقط ثلاثة من كل ألف يصابون بالمرض بهذه الطريقة .. تحتاجين إلى قدر عال من النحس يا صغيرة .. لكن لا بد من فحص دمك بعناية لمعرفة هل تتلقين علاجًا أم لا .. منذ متى تلقيت الوخزة ؟ »

- « حوالى شهرين او ثلاثة .. »

ـ « لابأس .. يمكن أن تكون الاختبارات ذات قيمة الآن .. »

فكرت (سيمون) قليلاً ثم نظرت حولها وقالت وهى تبلع ريقها :

ـ « هل يمكن إجراء اختبار لى ؟ أريد أن أطمئن .. »

هزت (هيلجا) رأسها .. فهى قد اعتادت هذه الأمور .. كل الأطباء مصابون ببارنويا الإيدز .. وفى كل يوم تقريبًا يأتيها طبيب شاحب الوجه يسألها نفس الأسئلة وهو يهمس من حين لآخر : انتهى أمرى .. أنا بطة ميتة ..

ـ « سنجرى لك اختبار (إليزا) .. فإن كان سلبيًا يمكنك نسيان الأمر .. أما إن كان موجبًا فلسوف نجرى المزيد من اختبارات التحقق من النتيجة .. »

وضغطت على الجرس ، فظهرت ممرضة آسيوية ترفع حاجبيها علامة التساؤل ، فقالت لها (هيلجا) :

ـ « نريد أخذ عينة من دم الدكتورة .. لا ليس أنت .. أريد الطبيب الشاب الملتحى .. فقد حان الوقت كى يتعلم شيئًا مفيدًا .. »

* * *

6- نهاية الرحلة ..

عامة ليس HIV من الفيروسات سريعة الانتقال .. ولم يدرج قط فى الأمان الحيوى الرابع .. بمعنى آخر يمكنك أن تأكل مع مريض الإيدز وتصافحه وتنام معه .. كل شىء جائز ما عدا أن تتعرض لأى إفرازات من إفرازاته وبصفة خاصة دمه .. حتى هذا الأخير يمكن التعامل معه ما دامت ليست فى جسدك جروح ..

لهذا من حين لآخر تنتشر إشاعة عن انتقال الفيروس عن طريق أدوات طبيب أسنان ما .. الحقيقة أن هذا أندر من الندرة .. ويحتاج إلى قدر غير محتمل من سوء الحظ ..

* * *

الآن انخفض عدد خلايا CD4 إلى درجة كبيرة .. لأن الفيروس لم يضيع وقته ..

وكان الفتى الزنجى يعيش حياته بالطول والعرض ، وقد نقل المرض إلى كثيرين .. لكنه لم يشعر بأنه مريض حقًا إلا حين وجد أن فمه يؤلمه عندما يأكل .. الطعام نفسه له طعم اليورانيوم لو كان لليورانيوم طعم .. وجد مرآة مهشمة ففتح فاه أمامها ونظر :

ـ « يا للعجب يا رجل .. هناك تلك القذارة على لسانى .. أرجو ألا يكون سرطانًا أو شيئًا من هذا القبيل .. »

قال صاحبه الآخر الذى يعلق قرطًا فى أذنه اليسرى والذى امتلأ جسده بالوشم :

ـ « أنا لا أرى لا شىء يا رجل .. لا يوجد شىء واحد لعين فى فمك .. أنت حار كالشمس يا رجل .. »

لا يوجد خطأ مطبعى هنا .. فهم ينفون النفى فى كلامهم كثيرًا للمزيد من النفى وليس الإثبات .. ليس هذا مدهشًا فنحن نفعل هذا فى العامية كثيرًا ، حين نقول (ماعرفش ولا واحد) مثلاً ..

لكن الفتى قلق ..

بعد أسبوع بدأ يصاب بنوبات السعال تلك .. حرارته مرتفعة نوعًا والسعال يمزق صدره فى أثناء الليل ، ثم لم يلبث أن أدرك أنه مريض ..

ـ « أريد أن أجد طبيبًا لعينًا يا رجل .. ليس معى (عجين) .. لا يوجد (ظبى) واحد لعين .. »

من جديد لا يوجد خطأ مطبعى هنا .. العجين Dough هو المال كما نقول نحن (الخميرة) .. و(الظبى Buck) هو الدولار كما نصف نحن المليون جنيه بـ (الأرنب) ..

دعونا من المقارنات بين العاميات المختلفة ولنذهب معه إلى المستشفى ..

فحصه الأطباء طويلاً وأجروا أشعة على صدره .. قاموا بتحليل البصاق ، بل إنهم أدخلوا منظارًا إلى حنجرته وسكبوا سائلاً وشفطوه ..

ثم إنهم أعلنوا النتيجة . إنه مصاب بعدوى فطرية في فمه ، ومصاب بطفيل في رئته يدعى PCP .. هذا الطفيل من العلامات المميزة لفقدان المناعة لدى مرضى الإيدز ..

هكذا دارت العجلة الشهيرة وأجريت كافة الاختبارات .. وفي النهاية عرف الفتى أنه مصاب بمرض الإيدز .. طاعون العصر ..

إن فيروس HIV نفسه لا يقتل ..

لكنه يعمل هنا عمل الخائن الذى يفتح أبواب المدينة الحصينة للغزاة .. لقد أتلف الدفاعات كلها ، ثم ترك الأبواب لتقتحمها فيروسات وبكتيريا وفطريات وديدان تعرف كيف تؤدى عملها ببراعة ..

إن الدرن ضيف مرغوب فيه هنا .. كذلك الـ PCP الذى تكلمنا عنه .. فيروس (الهربس) .. فطر (الكانديدا) ..

حتى الأورام .. إن أورامًا كثيرة تولد فى أجسادنا كل يوم .. كل منها يحمل نذير السرطان ، لكن جهازنا المناعى يلاحقها .. كلما وجد خلية سيئة الأدب تحاول التمرد قام بالقضاء عليها .. الآن وقد غاب الجهاز المناعى تزداد ظاهرة الخلايا المتمردة .. ويولد أكثر من سرطان أشهرها سرطان (كابوزى) .. سرطان نادر غريب الأطوار لم نسمع عنه من قبل إلا فى إفريقيا .. اليوم هو يظهر فى مرضى (الإيدز) ويكفى تشخيصه كى نشخص الإصابة بالإيدز ..

هذه المجموعة من الأمراض يطلق عليها العلماء اسم (الأخماج الانتهازية Opportunistic Infections) لأنها تنتهز فرصة انهيار دفاعات الجسم وتدخل ، وهى التى ما كانت لتجرؤ فى ظروف أخرى .. إنها تنتهز الفرص بنذالة لا بأس بها ، مثل أى واحد منا .. لقد تعلمت البكتيريا أخلاق البشر وهذا شىء خطير لو أنك فكرت فيه ..

* * *

ومن يومها انتهى المرح ..

لقد صار الفتى الزنجى سقيمًا بالمعنى الحرفى للكلمة .. ثمة ترسانة من العقاقير يتعاطاها فى كل حين .. إنه معرض لكل أنواع الالتهاب الرئوى .. معرض لطفيليات

نادرة تسبب الإسهال .. إنه معرض لتفاقم أية عدوى سابقة في جسده .. معرض لالتهاب سحائي من طراز نادر يأتيه من الطيور ..

تقريبًا لم يعد هناك جزء في جسده آمنًا من فيروس الإيدز أو من العدوى التي يسهل فيروس الإيدز دخولها .. حتّى العينين .. حتّى الجهاز العصبي ..

وكان عليه أن يتعاطى عقارًا معينًا باهظ الثمن كل أربع ساعات .. إنه لا يملك تأمينًا صحيًا والحكومة لا تعترف بوجوده لكن هناك صناديق تتكفل بعلاج أمثاله ..

وقد أجروا معه تحقيقًا دقيقًا لمعرفة من اتصل بهم في السنين الماضية .. طبعًا هذا عمل شبه مستحيل بعد سبعة أعوام من الرذيلة .. وحين تجد هؤلاء تجدهم قد اتصلوا بآخرين ..

لقد مات مدير المبيعات من عامين ، وهو لغز من ألغاز (الإيدز) .. لماذا قد يعيش ناقل المرض أطول ممن نقل إليه المرض ؟ من الجلي أن هناك فصولاً من القصة لم تكتب بعد ..

لكن بالنسبة لصاحبنا كان عامان قد مرا منذ التشخيص .. وكان يتدهور بسرعة ..

فقد من وزنه عشرين كيلوجرامًا .. حتى بدا كأنما هو هيكل عظمى يلبس ثوبًا جلديًا واسعًا .. وفقد شعر رأسه .. الخلاصة إن شيئًا واحدًا لم يزدد فيه إلا عمره الظاهرى .. هذا شيخ فى الستين .. لن تصدق أنه فى العشرين أبدًا ..

وجاءت اللحظة المحتومة عندما أصابه إسهال عنيف ..

دخل الحمام المتسخ فى دارهم عشرات المرات ، ثم أدرك أن الأمر مستحيل وأن عليه أن يجد من يحمله إلى المستشفى ..

وهناك أعطوه الكثير من المحاليل ، وأجروا تحليلاً سريعًا للبراز .. إنه مصاب بطفيل شرير هو (الكربتوسبوريديام) .. وهو طفيل لا يستطيع أن يؤذيك .. لا يمكنه أن يسبب لك مجرد مغص .. لكنه مع هذا الفتى الذى انعدمت مناعته تمامًا يصير قاتلاً .. والأهم أنه لا علاج له ما عدا عدة تجارب لم تؤت أكلها بعد ..

استمر الإسهال ثلاثة أيام ، وبرغم المحاولات العنيفة لإنقاذه ، فإنه لم يصمد أكثر ..

وأخيرًا توقف قلبه وشخصت عيناه ، وانضم إلى إحصائيات الذين انتصر المرض عليهم .. إن الإيدز يربح دومًا فى

النهاية .. يخرج لسانه لترسانة الأطباء والأجهزة العلميـة والتقنيات العالية التى تملكها أقوى وأغنى دولة فى العالم .. إنه ثامن أهم سبب للموت فى العالم كلـه ، والسبب الأول لوفاة الشباب بين الخامسة والعشرين والخامسة والأربعين ..

- « إنها حياة قاسية يا رجل .. فقط حاولت أن أنعم ببعض المرح .. »

* * *

7 ـ متى وأين وكيف ولماذا ؟

لم تتنفس د . (سيمون) الصعداء إلا حين ذهبت إلى المختبر في ذلك اليوم ..

قابلتها د . (هيلجا) بوجه كالح ينذر بالشؤم ، فسقط قلبها في قدمها .. لكن الطبيبة الألمانية العجوز قالت لها بلهجة صارمة خالية من المودة :

ـ « سلبي تمامًا .. ماذا كنت تتوقعين ؟ »

كانت تبكي .. إن المرء لاينجو من الإيدز كل يوم .. لكن ..

ـ « هل ثمة احتمال أن يكون هناك خطأ ما ؟ »

قالت (هيلجا) وهي تدس الأوراق في مظروف وتناولها إياه :

ـ « احتمال كبير .. »

من جديد سقط قلبها في قدميها .. هذه المرأة تحسب أنها تتعامل مع جهاز كمبيوتر أو صنم . وكأنما تفقد قطعة من لحمها في كل مرة تحاول فيها أن تبعث بعض الدفء الإنساني من حولها ..

أردفت (هيلجا) وهى ترشف القهوة من قدح كبير أمامها .. قدح كتب عليه (الحب Liebe) وسط قلب أحمر كبير ! :

ـ « فقط لو كانت فى بداية المرض قبل تكوين الأجسام المضادة ، أو فى نهايته حين يعجز جسدك عن تصنيع الأجسام المضادة Anergy .. ولكن أنت تقولين إن الوخزة حدثت مٍن ثلاثة أشهر .. هذا يستبعد أن يكون الأمر مبكرًا أكثر من اللازم .. كما أنك لست فى نهاية المرض وإلا لدخلت هنا على مقعد متحرك .. »

ثم بفظاظة قذفت بالمظروف على المنضدة ، وقالت بجفاء :

ـ « اذهبى يا فتاة فانعمى بحياتك .. إن الحياة جميلة .. »

قالتها بلهجتها القاسية الفاترة كأنها تقول (أنا أكرهك .. ولكم وددت لو كان التحليل موجبًا لأنعم برؤيتك تموتين) ..

لكن (سيمون) برغم هذا أوشكت على تقبيل العجوز من فرط سرورها ..

إنها حرة .. حرة ..

* * *

الآن انتهت مشكلتها الأهم ..

هل أخذت العدوى المفزعة من زوجها ؟ واضح أن هذا لم يحدث .. حتى الآن .. وارد جداً أن يحدث فى المستقبل .. المشكلة الثانية التى لا تعرف حلها هى : كيف التقط زوجها العدوى ؟ متى ؟

يمكن القول إنه أحس بأعراض معينة وأنه شك فى الأمر .. وعلى الأرجح أرسل عينة من دمه مع أحد رفاقه إلى مختبر فى (ياوندى) .. لم يرد أن يخبرها به ولم يرد أن يجرى الاختبار فى (سافارى) لأنها ستعرف بعد ربع ساعة لا أكثر ..

* * *

ـ « لقد زالت الحمى ، وعاد يمرح ويمزح ويأكل كدودة القز .. زال الطفح الجلدى وتلاشت العقد اللمفاوية .. حقًا كان هذا فيروس الأربع والعشرين ساعة كما توقعت بالضبط .. صحيح أن الأربع والعشرين ساعة طالت قليلاً لكن من قال إن الفيروسات تملك ساعة يد ؟ أروع ما فى هذه الوعكات البسيطة هو ثقتك التامة فى أنها ستنتهى حتمًا .. »

* * *

واقشعر جسدها ..

لم يكن هذا مرضًا عابرًا إذن بل هو (المتلازمة القهقرية الحادة) .. لقد أصيب بالعدوى فى وقت ما قبل هذا بأسبوعين .. هو لم يتلق دمًا ولم يجر جراحة .. لا توجد طريقة بريئة يأخذ بها العدوى ..

ومتى كان هذا الوقت الذى أصيب فيه ؟

حينما كان يسهر مع تلك الشلة فى ذلك النادى العريب ..

هذا واضح ..

لو أضفنا لهذا أنه يفقد وزنه باستمرار ، وأنها حسبت هذا ناجمًا عن أقراص التخسيس التى كان يتعاطاها من قبل .. إن وزن (لوى) لم يكن ثابتًا قط وإنما هو صراع مستمر بين كرش يريد أن يتمرد وإرادة تصر على ألا يحدث هذا ..

لو أضفنا هذا للصورة لفهمنا لماذا أجرى ذلك التحليل ..

لكن إلى أى مدى كان ينوى إبقاء الأمر سرًا ؟

هل كان سيخبرها ؟ متى ؟

الحقيقة أنها لم تستطع قط أن تستعيد طبيعتها حين عادت إلى الدار ، وكان أول ما لاحظته هو أن ذلك المظروف لم يعد فى مكانه .. كان سهوًا وقد فطن إليه ..

جاء بعد الظهر من جولة فى البلدة ، وكان كما رأته عندما خرج .. صامتًا غامضًا يبدو عليه الشعور الواضح بالذنب .. رباه ! كيف لم تلحظ إلى أى حد تدهور وزنه ؟ أحيانًا تعتقد أنها لم تكن تصلح طبيبة على الإطلاق .. لكنها فى الحقيقة كانت كأطباء العيون وأطباء الأسنان وأطباء الأنف والأذن وكل الأطباء الذين يتركز اهتمامهم على بقعة ضيقة ، لم تكن ترى في أى إنسان إلا عينيه .. بالنسبة لها كان البشر جميعًا عيونا كبيرة تمشى على قدمين ، ولرب مريض لا تذكر بالضبط إن كان ذا شارب أو لا .. بدينا أم نحيلاً .. متأنقًا أم مبعثر الثياب .. فقط هى تذكر كل شىء عن عينيه ..

الآن يجلسان للغداء .. هذه المرة ثمة شىء ما يخيم على الجو .. لم تعد تستطيع أن تتعامل معه كشخص عادى .. إن ضميرها مثقل ، وضميره كذلك لو لاحظتم هذا !..

سألته فى فتور :

ـ « كيف حالك ؟ » .

ـ « بخير .. »

ـ « لا تبدو بخير .. » .

- « إن من هم بخير لايحملون لافتة تقول إنهم كذلك .. »

لم يكن يأكل إنما هو يقلب الطعام بملعقته .. آه ! ملعقته ! يجب أن تحترس من الآن فلم يعد الأمر كما كان ..

هى ليست مخبولة .. لاينتقل الإيدز بأشياء مثل الملعقة .. هذه بديهيات .. حتى فرشاة الأسنان لا تنقله إلا لو جرحت اللثتين تباعًا .. باختصار هذا احتمال واه جدًا ، لكنك تعرف هذه الأمور .. الذعر غير المفهوم .. هناك حادثة حقيقية عن عامل مناجم وجد ثعبانًا على ساقه وهو يحفر ، وبدلاً من أن ينفضه هوى على ساقه بالبلطة ليبترها ! الذعر الذى يذيب المنطق .. لو زحف ثعبان على يدك لشعرت بأنها لن تنظف أبدًا مهما غسلتها ..

الآن هى تعرف أن مرض الإيدز مرض قابل للاحتواء .. يمكنك أن تقرر أنك لن تصاب به ، وغالبًا ما تنجح .. لكنها برغم هذا تعطيه إمكانات لاقبل له بها .. كأنه خارق للطبيعة .. كأنه فى هواء البيت ذاته .. والحقيقة هى أن هذا الكلام ينطبق على فيروس (إيبولا Ebola) أكثر بكثير مما ينطبق على الإيدز ..

سألته بشكل عارض :

- « هل هناك شىء تود أن تخبرنى به ؟ »

نظر لها لحظة ، ثم رأى أن وجهها لا يحمل تعبيرًا معينًا ، فقال :

ـ « مثل ماذا ؟ »

ـ « لا شىء .. »

وعادت تلتهم طعامها ..

هو إذن لا يحمل نية إخبارها أبدًا .. سيظل يحتفظ بالسر .. يا له من أحمق ! والأسوأ من هذا أنه أنانى تمامًا .. يفضل أن يحتفظ بسره على سلامتها هى نفسها .. من أبسط حقوقها أن تعرف نوع مرض من تعيش معه ، لكنه يأبى أن يفعل ..

ثانيًا هو أحمق .. لا يستطيع أن يحتفظ بالسر ويطلب العلاج فى الوقت ذاته .. ومن سيعالجه ؟ بالتأكيد واحد من أطباء (سافارى) .. فهل يظل الأمر سرًا بعد هذا كله ؟

ترى هل يوجد علاج ؟

معلوماتها ناقصة فى هذا الصدد .. فقط هى تعرف أنه ما من علاج ناجح حتى هذه اللحظة .. فهل جد جديد لا تعرفه ؟ لربما كان هناك أمل ما ..

ولكن كيف من دون أن يصارحها بكل شىء ؟

هل تبدأ هى ؟ لاتعرف رد فعله .. فى الغالب يكون هؤلاء المرضى عصبيين جدًا .. على الأرجح سيرفض أية معاونة ولسوف يرفض معاونتها هى بالذات بشدة ..

كثيرًا ما يشخص طبيب العيون (الجذام) قبل سواه .. وقد كاد أحد المرضى يفتك بها حين صارحته بأن عينيه تدلان على أنه مصاب بالجذام .. اتضح أنه يعرف ذلك من زمن لكنه لا يحتمل أن يصارحه أحد بذلك ، وكان يأمل فى ألا يعرف طبيب العيون ذلك ما دام لم يفحص جسده .. حينما قالت له تلك الحقيقة تحولت إلى عدوه اللدود فى اللحظة ذاتها ..

كان القدماء يعتبرون الجذام والصرع لعنات أصابت المرضى بسبب خطاياهم .. ولهذا كانوا يعاملون هؤلاء باحتقار وكراهية ، وكان المريض يتحول إلى منبوذ يلفظه المجتمع .. سبب مقنع كى يخفى المريض مرضه ويغدو عصبيًا حين يكلمه أحد عنه ..

كان هذا الكلام من خرافات الأولين .. لكن هل يوجد اليوم مرض يستحق وصف اللعنة أكثر من الإيدز ؟

* * *

متى وأين وكيف ولماذا ؟

متى ؟ ذلك اليوم من عدة أشهر .. قبل إصابته بتلك (الوعكة البسيطة) بأسبوعين أو ثلاثة ..

أين ؟ فى ذلك النادى الذى يؤمه الأوروبيون ..

كيف ؟ تلكم هى المسألة كما يقول (هاملت Hamlet) ..

لماذا ؟ لأنه وغد ولأنه أحمق .. كل الرجال أوغاد حمقى .. إنه لايستطيع أن يقنع ببيت هادئ وزوجة محبة مخلصة .. إنه يبحث عن التغيير ، وقد رزقه الله بالتغيير .. أعنف تغيير ممكن فى حياة إنسان .. إن شيئًا لن يعود كما كان ، ولسوف يمرح كثيرًا وهو يرى دفاعات جسده تتلاشى وتسقط ..

متى ؟ ربما بعد خمسة أعوام .. ستة .. عشرة ..

ربما لن يحدث هذا أبدًا .. لكنها لن تكون موجودة لتعرف ذلك ..

سوف تصارحه بكل شىء وتطلب الطلاق .. إنهما شخصان متحضران ولن تكون هناك مشاكل .. ليذهب هو إلى (ياوندى) ولتبق هى هنا مع (سافارى) التى أحبتها ..

على الأقل سيجد فى (ياوندى) الكثير من المرح ، بينما هى تفضل الأدغال وأهالى القبائل ..

كانت تفكر فى هذا وهى جالسة فى الفراش ليلاً تقرأ على ضوء الأباجورة .. بالأحرى تحاول أن تقرأ لكن كل شىء يذوب أمام عينيها .. هل هاتان دمعتان أم أنها عميت فجأة ؟

دمعتان ..

الفراش جوارها خال .. إنه يحلق ذقنه فى الحمام .. آه ! سيكون هناك دم كثير لأنه يجرح نفسه دومًا .. ماذا عن موسى الحلاقة ؟ صحيح أنه يتخلص منها لكن لو حدث ونسى ذلك ، ومدت هى يدها بحثًا عن فرشاة الأسنان عندئذ .. آه ه ه ه ه !

الأمر خطير فعلاً .. ثمة حمار ما قال إن الحياة مع مريض الإيدز ممكنة .. واضح أنه لا يعيش مع مريض إيدز فى دار واحدة .. من السهل أن تتكلم وأنت فى مكتب مكيف بعيدًا عن أى خطر .. ثم إن الأمر يكون أعقد بالنسبة للأطباء ..

إن الطبيب على دراية بكل الاحتمالات البهيجة التى يمكن أن تطرأ .. دعه يكتشف عقدة لمفاوية فى عنقه ولسوف يفكر أولاً فى سرطان (هودجكين Hodgkin) بينما غير الطبيب سيفكر فى جروح الحلاقة .. دع ابنه يعانى من نزيف أنفى

(رعاف) ولسوف يفكر فى سرطان الدم بينما كل أب آخر سيفكر فى شقاوة الأطفال الذين يلكمون بعضهم على الأنوف ..

ولكن .. ساعة إلا الربع ؟

لقد أمضى (لوى) فى الحمام ساعة إلا الربع !

هذه ليست حلاقة .. بل هى جراحة إذن .. كان بإمكانها حلاقة لحى عشرين كاهنًا من (السيخ) المتدينين فى هذا الوقت ..

نهضت متوجسة إلى الحمام وقرعت الباب فى رفق :

ـ « (لوى) .. هل أنت على ما يرام ؟ »

لا رد ..

أو ـ بمعنى أدق ـ هناك صوت لكنه لم يسم إلى درجة أن يصير ردًا ..

ـ « (لوى) .. افتح الباب .. »

لكن لا رد ..

الآن أصابها رعب حقيقى وراحت تهزُّ المقبض مرارًا فى عصبية ..

هل هى تحلم أم أن هذا صوت أنين فعلاً ؟

★ ★ ★

8 ـ الفيروس يواصل انتصاراته ..

ـ « إنها حياة قاسية يا رجل .. فقط حاولت أن أنعم ببعض المرح .. »

* * *

فى عصر تقدم البيولوجيا الجزيئية صار من السهل أن تعرف كل شىء عن أى فيروس جديد خلال أيام من ظهوره .. الجهد الذى كان يستغرق قرونًا فى السابق صار يستغرق بضعة أيام فى عصر الكمبيوتر وتقدم علم المناعة والخرائط الجينية .. هكذا يمكن القول إن كل شىء عرف عن فيروس HIV إلا الطريقة المثلى للعلاج ..

الطريقة المثلى ؟ هناك مائة طريقة للعلاج ، ومعنى هذا ببساطة أنه ما من طريقة فعّالة بين هذه الطرق ..

كان الفيروس خائفًا من ترسانة الأدوية البشرية .. إن زميلته بكتيريا الزهرى كانت هى الأقوى على مدى العصور ، وقد أعلن الأطباء عجزهم عن علاجها بينما هى تنتزع صحة الناس وتدمر عظامهم وجهازهم العصبى .. استعملوا الزرنيخ والسلفرسان .. وقضى الدكتور (إرليخ) ليالى سوداء يحاول أن يصبغها بصبغة تحبها .. على أن يمزج هذه الصبغة

بسم يقتلها .. الواقع إنه وصل للجواب الصحيح ، لكن هذا لم يعد له داع بعدما ابتكر (فلمنج Fleming) العقار العبقرى : البنسلين .. العقار الذى كانوا سيطلقون عليه اسم (فليمنجين) لكن العالم رفض بإباء .. وسرعان ما اتضح أن البنسلين يقضى على بكتيريا الزهرى كما يقضى المبيد الحشرى الجيد على مستعمرة ذباب .. ومن يومها لم تعد هناك مشكلة من هذا الوباء ..

لكن الحال مع الفيروسات يختلف ، لأنها تلتحم بالخلية ذاتها ، ويصير من العسير القضاء عليها ما لم تقض على الخلية ذاتها ..

ومن دون تعقيدات كثيرة تضايق كارهى التفاصيل ، نقول إن علاج الداء يتركز فى سياستين : علاج الفيروس نفسه .. وعلاج الأخماج الانتهازية التى يفتح لها الباب ..

العقار الذى برهن عن كفاءة نوعًا فى السيطرة على الفيروس أو تقليل انتشاره ، هو عقار (زيدوفيودين) .. ثم لحقت به عقارات (ديدانوزين) و(زالسيتابين) و(لاميفيودين) .. ليس من بينها عقار شاف .. لكن هؤلاء الغربيين يؤمنون بالإحصائيات .. قلّ متوسط عدد نسخ الفيروسات فى الدم .. طالت حياة المريض ستة أشهر .. إلخ ..

ثمة مجموعة أخرى من العقارات ذات كفاءة .. هذه العقارات يطلقون عليها اسم (مثبطات البروتييز inhibitors protease) ، وهى باختصار شديد تمنع الفيروس من تفكيك البروتينات الموجودة به .. إن الفيروس يصنع كل بروتيناته فى كتلة واحدة ، لهذا يحتاج إلى مقص يقص به كل بروتين على حده .. هذه العقارات تمنع المقص من أداء عمله ..

وقد وجد العلماء أن جمع عقارين من المجموعتين يعطى نتائج أفضل .. على الأقل يكون الفيروس أبطأ فى التعامل مع المريض ..

بفضل هذه العقاقير وبفضل الوعى الصحى المتزايد ، بدأ المرض اللعين يتخذ حجمًا محدودًا فى العالم الغربى ، لكن ظلت إفريقيا هى مركزه الأصلى .. ومازالت الجنازات مشهدًا يوميًا حيث يوجد الفقر والجهل والانحطاط الخلقى .. إن هذه العقاقير باهظة الثمن ، والعقار باهظ الثمن هو عقار لا وجود له بالنسبة للفقراء ..

* * *

وماذا عن التطعيم ؟

الواقع أن هذه النقطة بالذات تزعج الفيروس ، وتسبب قلقه .. إن البشر يبدون واثقين من قدرتهم على ابتكار لقاح مناسب ضده .. ربما منذ اللحظات الأولى لاكتشافه ..

وتعود به الذاكرة إلى الوراء .. إلى زملائه القاتلين مثل فيروس شلل الأطفال وفيروس الجدرى وفيروس الحمى الصفراء وفيروس التهاب الكبد B .. كل هؤلاء حطموا الجميع وقهروا كل من حاول تحديهم ، لكن مبدأ اللقاح ولد ، وعرف الناس أنه يمكن أن تدرب الجسم على اتقاء الفيروس لو أعطيته جرعات صغيرة أو ضعيفة منه .. أو أعطيته جزءًا معينًا من جسم الفيروس ..

هكذا تم قهر الجدرى فاختفى من على وجه البسيطة إلا فى مختبرات الحكومة الأمريكية فى (أطلنطا Atilanta)

التى تصر على عدم تدميره باعتباره (قد يصلح يومًا ما لغرض ما) .. يجب ألا ننسى هنا أنه خدمها خدمة العمر يوم أباد قبائل كاملة من الهنود الحمر عن طريق بطاطين المعونة التى وزعتها الحكومة الأمريكية عليهم ، والتى تشبعت بالفيروس .. إذن هو فيروس (حليف) لا يجب أن يمحى من العالم ..

كذلك تراجع شلل الأطفال فلا وجود له تقريبًا .. بينما بدأت امراض أخرى تتراجع ..

إلا فيروسنا العزيز ..

إن العلماء يعرفون الآن أنهم كانوا متفائلين أكثر من اللازم ، وأن عشرة أعوام على الأقل تفصلهم عن أى لقاح ناجح للمرض .. وهذا يعنى أنه فى إجازة حتى ذلك اليوم ..

لهذا يحمل حقائبه ويسافر إلى إفريقيا حيث ينتظره الرفاق ..

وفى إفريقيا لن يضايقه أحد ..

إنه يتجه إلى الساحل الغربى كما فعل أى مستكشف عظيم جاء من قبله ..

هذه البلدة تدعى (الكاميرون) ..
هذه الضاحية الصغيرة تدعى (أنجاوانديرى) ..

تبدو رحبة .. تبدو حافلة بالإمكانيات ..

لم لا يستقر هنا ؟

لم لا يبدأ دورة حياة جديدة ؟

* * *

9- إننى أخلى مسئوليتى ..

- « إنه لايفتح الحمام .. »

سمعت هذه العبارة وأنا أقف على الباب بمنامتى .. ومن خلفى جاءت (برنادت) قلقة تتساءل عمن يقرع الباب فى هذا الوقت ..

كانت الزوجة فى حالة هستيرية فعلاً ، والدموع تخنقها وتسبقها .. ولا ألومها كثيرًا .. إن للرجال عادة سيئة هى الإصابة بنوبة قلبية أو سدة رئوية فى الحمام .. هذا يحدث كثيرًا .. والمشكلة هنا أنها ستكون ليلة سوداء فعلاً ..

لاحل أمامى .. فأنا الرجل الوحيد فى هذا المربع .. الرجل الوحيد الشاب نوعًا .. فلا أقل من أن أتصرف كما يليق بالرجل الوحيد ..

خرجت مسرعًا أعبر المسافة بين الدارين ، وأنا أحاول ألا أتعثر فى الظلام ..

الباب مفتوح .. دلفت إلى الداخل متحمسًا قبل أن أتذكر حقيقة بسيطة : أنا لا أعرف أين الحمام ! هكذا انتظرت حتى

لحقت بى الزوجة مع (برنادت) العزيزة ، وأشارت لى إلى ردهة جانبية ضيقة .. هنا رأيت الباب الموصد .. هذه مشكلة أخرى .. لا يوجد مكان يسمح بالتراجع للوراء كى تندفع إلى الأمام !

حاولت بكتفى عدة مرات دون جدوى ، بينما هى لا تكف عن الصراخ :

ـ « كل هذا ولم يرد ! ثمة مكروه أصابه ! »

كنت الآن متأكدًا من هذا .. الرجل ميت أو يموت .. أو هو فاقد الرشد ..

على كل حال لابد من فتح هذا الباب .. أخيرًا لم أجد إلا الحلول العنيفة فطلبت منها مفكًا .. لابد أن هناك واحدًا هنا .. غابت قليلاً ثم عادت بالمفك الضخم الصلب الذى كنت أحلم به ..

دسسته فى فرجة الباب ورحت أضغط مستعملاً إياه كعتلة .. كعت .. له ! هان هان هان ! عتلة ..

هان .. إنه يستجيب ..

وقالت لى (برنادت) وهى تربت على كتفى بقلق :

ـ « انتظر .. إن أوردة عنقك توشك على الانفجار .. سوف أطلب العون من .. »

كرااااش !

تهشم الباب في هذه اللحظة لينقذ كرامتي .. واستطعت أن أفتحه ..

وكان ما رأيته غير جميل على الإطلاق ..

كان يجلس في مغطس الماء وقد أرجع عنقه للوراء ، بينما المكان ملوث بالدماء وأدركت على الفور أن مصدر النزف هو معصمه .. ثمة موسى حلاقة جواره وفوضى عامة ..

وعلى مرآة الحمام كانت هناك ورقة معلقة ثبتها بشريط من اللاصق :

ـ « سامحيني يا (سيمون) .. »

الآن انطلقت د . (سيمون) في الصراخ كأنها صفارة إنذار .. وقد نصحتها بأن تخرس عدة مرات دون جدوى .. يصعب أن تفكر بترتيب وأنت تسمع فأرًا لا يكف عن الصراخ الرفيع في أذنك ..

تحسست صدر الرجل . ثم جسست نبضه .. إنه ما زال حيًا .. صدمة عنيفة لكنه ما زال حيًا ..

صحت وأنا أرفع قدميه فوق حافة المغطس لأسهل وصول الدم إلى مخه :

ـ « أحضرا نجدة حالاً ! إنه لم يمت ! »

هرعت (برنادت) تركض خارجة من الحمام ، بينما لم تفعل (سيمون) إلا أن قالت لي في حزم هستيري :

ـ « أنت تلوثت بدمه .. أنت تلوثت بدمه ! »

ـ « وما في ذلك ؟ سوف أستحم بعد هذا .. »

ـ « أنت لا تفهم .. أنت .. »

ثم جثت على ركبتيها وراحت تنشج ..

فيما بعد فهمت معنى ما قالته وهو حمق على كل حال .. سقوط دم مريض بكميات كبيرة على الجلد السليم لم ينقل المرض قط .. الخطر الحقيقي هو أن أجرح نفسي بهذه الموسى وأنا غير منتبه ..

على كل حال كنت في هذه المرحلة لا أعرف شيئًا عن القصة .. كل ما كنت أعرفه هو أن جارنا الودود الظريف

قرر أن ينتحر .. لماذا ؟ لا أعرف طبعًا .. إن البيوت أسرار كما تقول .. لكنى قد تعودت ألا أندهش كلما كشف هؤلاء الأشخاص شديدو المرح عن ميول اكتئابية عنيفة .. إن (العصاب الاكتئابى الانبساطى) حالة نفسية معروفة .. وهى تفسر كل شيء .. هؤلاء الأشخاص يكونون مرحين إلى حد السفه أحيانًا ، ثم سرعان ما ينقلب مزاجهم تمامًا إلى حد الانتحار ذاته ..

وعدت أتحسس نبضه .. لماذا تأخرت (برنادت) ؟ إننا نفقده بسرعة ..

* * *

قبل أن يدخل الجراح الدنماركى (ألفريد سيجورد) غرفة العمليات ، قابلناه خارجًا من غرفة تبديل الثياب مرتديًا المنامة الخضراء المضحكة قبل أن يعقم نفسه ..

كان المريض على منضدة الجراحة ، وقد التف حوله عدد لا بأس به من أطباء التخدير يحاولون أن يبقوه حيًا حتى يصل الجراح ، وقد علقوا له وحدتين من الدم بعد ما فقد الكثير ..

قالت له د. (سيمون) فى توتر :

ـ « خذ الحذر يا دكتور .. »

نظر لها بعينين متسائلتين فقالت موضحة :

ـ « إنه مصاب بالإيدز .. »

رفع حاجبيه فى فهم ، ثم هرع إلى الداخل .. إنه بارع وأعرف أنه سينقذ الرجل .. ما كان أحد سواه أو (سباتزانى) العظيم ليستطيع إعادة كل هذه الأنسجة المتهتكة على حالتها الأولى ..

قلت لها وأنا أجذبها من يدها كى تجلس على مقعد فى الاستراحة خارج مسرح الجراحة :

ـ « لا أعرف سر هذا التطوع المجانى بإخبار الجميع .. هذا ثالث شخص تخبرينه خلال ربع ساعة .. »

جلست بشكل آلى وقالت :

ـ « أحاول إخلاء مسئوليتى .. لن أترك أحدًا يتأذى وأنا أعرف الخطر الداهم .. »

أحضرت لها (برنادت) بعض القهوة والبسكويت .. وكانت قد ذهبت إلى الكافتيريا تبحث عن شىء ما .. فقضمت المرأة البسكويت بلا وعى .. بينما سألتها :

ـ « منذ متى تعرفين أنه مصاب بالمرض ؟ »

ـ « ثلاثة أيام !! »

تبادلت النظر و(برنادت) .. هذا شيء طازج جدًا ..

لكني تذكرت المحادثة السابقة معه ..

ـ « شن ! طبعًا ثلاثية فقدان الوزن والحمى والإسهال بلا تفسير على مدى شهر هي جزء من .. شن ! من تعريف منظمة الصحة العالمية WHO لمرض الإيدز .. لماذا تسأل ؟ شن ! »

يسهل على معرفة ما حدث بعدها .. لقد أجرى تحليلاً للفيروس ووجده موجبًا .. لم يتحمل الصدمة ولم يتحمل الفضيحة وفضل الانتحار .. هل لهذا علاقة بمحادثة د . (سيمون) الهامسة مع (هيلجا) الشمطاء ؟

ـ « ما القصة بالضبط ؟ »

شربت بعض القهوة ثم بدأت بصوت مرتجف تحكي لي كل ما قلته في الفصول السابقة فلن أكرره إذن .. وبدأت الصورة تتضح وتكتمل .. طبعًا كان أول سؤال سألته (برنادت) هو :

ـ « متأكدة أنه لم ينقل لك العدوى ؟ »

ـ « بالتأكيد .. هذا أول ما خطر لي ببال .. »

ساد صمت عميق ، ثم قلت لها وأنا أقضم قطعة من البسكويت الذى تركته :

- « ما هى خططك للمستقبل ؟ »

ابتسمت بعناء ابتسامة عجوزًا مستهترة وقالت :

- « المستقبل ؟ كلمة عسيرة جدًا .. كلمة تبدو قادمة من الأساطير الإغريقية .. »

« لا يوجد مستقبل .. فى بلد تتعرى فيه المرأة كى تأكل .. لا يوجد مستقبل » .. جملة تذكرتها لـ (صلاح عبد الصبور) فى هذه اللحظة بالذات ..

قلت لها :

- « بصرف النظر عن رأيك الخاص فهذا البائس يحتاج إلى علاج .. أعتقد أنهم سيجرون له عدًا لخلايا CD4 لمعرفة هل وصل إلى مرحلة (الإيدز) فعلاً أم لا .. أعتقد أنهم سيقيسون الحمض النووى للفيروس فى دمه لتحديد كمية العدوى .. هناك ترسانة كاملة من الأدوية ستعطى له حسب مرحلة المرض ، بالإضافة لبعض التطعيمات .. »

قالت فى ضيق :

- « أنا لا أعبأ بهذا .. هذه مشكلته من الآن فصاعدًا .. لقد أخطأ وعليه أن يدفع ثمن خطئه .. »

قلت محتجًا :

ـ « لماذا تفترضين أن الفساد هو السبب ؟ الناس تصاب بالفيروس من وخزة إبرة .. من نقل دم ملوث .. »

ـ « كل هذا مستبعد بالنسبة له .. والمرض لا تنقله الحشرات فلا تقل هذا من فضلك .. »

معها حق .. مرض السيلان هو من الأمراض السرية .. وقد اعتاد من يصابون به أن يدعوا أنه انتقل إليهم من دورات المياه العمومية .. طبعًا هذا كلام فارغ .. ما دامت هى متأكدة من أن زوجها لم يتلق دمًا ، وما دام لا يتعاطى المخدرات وريديًا .. فلا توجد إلا طريقة واحدة للعدوى ..

قلت لها وأنا أقضم المزيد من البسكويت :

ـ « هل ستطلبين الطلاق ؟ »

ـ « بالتأكيد .. لو نجا من الموت .. »

ثم نهضت دون كلمة أخرى ، وبخطا ثابتة ابتعدت فى الردهة دون أن تنتظر نهاية الجراحة ..

قلت لـ (برنادت) وأنا أنظر إلى المرأة النحيلة ذات الشعر القصير التى تبتعد عنا :

ـ « قاسية جدًا .. »

قالت (برنادت) باسمة :

- « أنت لا تعرف المرأة .. إنها تحب إلى حد الجنون .. الالتهاب .. وهذا الحب العارم يتحول إلى أقصى درجات القسوة والتوحش حينما يخذل هذا الحب .. إن المرأة العاشقة تقتل بسهولة أكثر بكثير من المرأة غير المبالية .. »

قلت لها همسًا :

- « فليحفظنا الله .. إلى أى حد تحبينى إذن ؟ »

- « ستعرف بينما أقوم بنشر عظامك بالمنشار الكهربى .. عندها ستفكر : لقد أحبتنى حقًا .. هذا بالطبع قبل أن يمر المنشار عبر جمجمتك فتفقد القدرة على التفكير .. »

تخيلت الفكرة فارتجفت لها .. لا أدرى لماذا لا أحب هذا المزاح ..

وقطع كلامنا ظهور الدكتور (سيجورد) لاهثًا وقد نزع قناعه وقفازيه .. قال لنا وهو يجفف عرقه بكمه :

- « سيجتاز الأزمة .. وإن كان مزق شرايين معصمه بعنف لا مثيل له .. أين زوجته ؟ »

- « ذهبت لتنام .. إنها لم تعد تسهر حتى هذه الساعة .. »

بدت عليه الدهشة، ثم قال وهو يواصل التحرر من ثيابه:

ـ «سننقله إلى العنابر لكن يجب إخطار طاقم التمريض بمرضه .. سأخبر الإدارة كذلك .. لربما قرر (آرثر شيلبى) أن يتولى علاجه .. يجب إبلاغ الشرطة كذلك ..»

* * *

رفع الساقى (ألبرت) عينيه فى دهشة ليرى الأوراق المالية الموضوعة أمامه على المنضدة ..

كان إفريقيا ضخم الجثة اسمه (مولانجا) له لون الباذنجان الأسود وشعر رمادى مجعد مزرق قليلاً .. وكان يعيش فى (أنجاوانديرى) منذ عشرين عامًا منذ ترك قريته .. ظل يمارس الفلاحة والرعى، ثم ابتنى بيتًا صغيرًا وتزوج .. لكن حياته كلها كتب لها أن تتغير يوم زار أحد أقاربه فى بلدة دانية، فوجد أنه نسى كل شىء عن الفلاحة .. إن المنطقة تعج بالغربيين .. وهم يدفعون جيدًا .. لقد استطاع الرجل الحويط أن ينشئ ما يشبه كافتيريا صغيرة ذات طابع غربى، وزودها بوسائل التسلية المختلفة، وهكذا بدأ أول غربى يتردد عليها .. ثم جاء الثانى .. ولحق بهما الثالث فالرابع .. ببطء تحول المكان إلى ناد من أندية (لندن) حيث يجتمع الغربيون ذوو

الميول المتشابهة ليدخنوا ويشربوا ويسمعوا الموسيقا .. وكان بعضهم ذا ميل للفساد لذا أعد غرفتين في الداخل يمكن فيهما تعاطى المخدرات أو أى شيء آخر ..

أخلاقيات ؟ لم يكن قريبه يفكر في أمور كهذه بينما الدولارات والفرنكات تتراكم ، وكان يقول دومًا : أنا لا أفسد كاميرونيين .. بل أفسد الغربيين الذين أعتصرونا قرونًا !

هكذا كان يمارس عمله بروح (وطنية) عجيبة بعض الشيء هي أقرب إلى (التأميم) .. إنه يؤمم ما في جيوب هؤلاء الأوروبيين لصالحه .. ويزداد ثراء !

تعلم (مولانجا) الدرس وفهم كل شيء عن هذه المهنة .. وسرعان ما عاد إلى (أنجاوانديرى) ليحول البيت الذى ابتناه إلى مزيج غريب من ناد بريطاني وملهى وحانة وكافتيريا .. أطلق على نفسه اسم (ألبرت) كي يوحي لهؤلاء القوم بالألفة .. لكن ظل اسم النادى (مولانجا) ..

بالطبع لم يكن المكان نظيفًا تمامًا وكان طابع الفقر يخيم على كل شيء .. لكنه كان يعرف أن بعض هذه اللمسات تسحر الغربيين .. وحين تدخل المكان ماعز لم يكن يطردها .. وحين يلهو أطفال عراة على الباب لم يكن يمنعهم ..

ببطء جاءه أول عميل .. لكنه لم يقلق لأنه يعرف أن الأمور ستزدهر سريعًا .. هذه المنطقة تعج بمهندسى الاتصالات كما أن هناك كنزًا لا ينفذ من الغربيين يتمثل فى وحدة (سافارى) القريبة ..

هكذا أدخل على المحل ما يناسب الذوق الغربى ، مع بعض لمسات إفريقية مثل الأقنعة والرماح على الجدران .. مثل الموسيقا الإفريقية المنبعثة من سماعات عملاقة .. مثل الخمر المحلية القوية التى يمزجها بما يشربه هؤلاء القوم .. أيضًا لم ينس أن يبتاع منضدة بلياردو من مهاجر ألمانى وأوراق لعب ..

تدريجيًا صار الزبون اثنين ثم ثلاثة ثم جاء يوم ازدحم فيه المكان ..

تعلم الكثير من الإنجليزية ، وكان يتكلم الفرنسية جيدًا ، ثم اكتسب بعض الروسية والألمانية .. وكان يقف وراء البار بالفانلة الداخلية والسيجار بين شفتيه ، وهو يتكلم بكبرياء كأنه ساق فى (الشيراتون) أو (الهيلتون) ..

تدريجيًا شعر بأن عليه أن يزيد نشاطه .. وقد عرف طريقة الحصول على مخدرات ، وأقنع بعض الفتيات بالتردد على

المكان .. بعضهن إفريقيات لكن بينهن فتاتين روسيتين .. وبالطبع كان يقنع نفسه بأنه ليس بهذا السوء كما يقولون .. إنه يحارب الغرب بطريقته الخاصة .. إنه مناضل ! لا أحد يحسب نفسه سيئاً فى هذا العالم على كل حال .. الطالب الفاسد يتحدث عن أبيه الذى لا يخصص وقتًا لسماع مشاكله .. راقصة البطن ترى أن الرقص عمل والعمل شرف .. المختلس يتحدث عن حاجته لإطعام أطفاله .. المنافق يقنع نفسه بأن بهذا السوء بل هو يستحق ..

كان التفاهم بين (ألبرت) والشرطة تامًا ، فهذا ليس مجتمعًا مدنيًا إنما هو عشيرة .. كل من يمت له بقربى هو أقرب إليه من الدولة ذاتها .. ثم إنه كان يعطى بعض الخدمات لهؤلاء ..

هكذا استقرت الأمور وسارت الحياة بانتظام بالنسبة له .. لا داعى طبعًا للقول إن زوجته كانت تعاونه فى العمل ..

الآن وجد نفسه يحدق فى تلك المرأة الفرنسية النحيلة ، التى تضع عوينات سوداء ، والتى تقف أمامه وقد وضعت حزمة من الفرنكات على النضد ..

قالت له وهى تبتسم ابتسامة خفيفة :

ـ « هذا المبلغ لك .. »

لم يكن طفلاً .. بل هو رجل خبر الجانب المظلم من الحياة .. ولو كان فى (شيكاغو) لكان من رجال المافيا المرموقين .. وقد علمته الحياة درسًا مهمًا : لا أحد يعطى شيئًا دون مقابل .. مقابل فادح يكسب به أضعاف ما فقده ..

ولهذا أيضًا كان يشعر بعدم راحة تجاه تلك العروض غير المبررة .. كان يفضل أن يكون الناس لصوصًا أوغادًا يحاولون سلبه ماله الحبيب ، لكن هذه لغة لا يفهمها ..

لهذا رفع عينين متسائلتين نحوها ولم يمد يده ..

قالت فى قسوة :

ـ « هذه النقود لك .. مقابل معلومة .. هل تعرف (لوى مولنسار) ؟ »

فكر قليلاً ثم غمغم :

ـ « آه .. ذلك الفرنسى .. المهندس .. نعم .. نعم .. لم يأت من زمن بعيد .. »

ـ « هذا المبلغ لك لو أخبرتنى باسم المرأة التى كان يقابلها !! »

★ ★ ★

10 ـ اسمها (تاتيانا) ..

الآن فقط بدأ الأمر يروق له ..

سوف نمرح كثيرًا جدًا .. فهذه المرأة لا تفقه شيئًا عن الحياة ، وتتصرف بسذاجة منقطعة النظير .. إن خبرتها بالحياة لا تتجاوز بضعة أفلام ..

لا يحتاج إلى أسئلة أكثر .. فهذه المرأة هي الزوجة الغيور للفرنسي .. وهي تعتقد أنه سيعطيها معلومات عن زبائنه بهذه البساطة .. لكنه يستطيع أن يربح بعض المال على كل حال ..

أخرج منشفة ليمسح النضد أمامه .. كل هؤلاء السقاة يمسحون النضد حين يبحثون عن فرصة للتفكير ، وقال :

ـ « كيف لي أن اتذكر ؟ إنهن كثيرات .. لكن .. لحظة .. إنها (تاتيانا) .. تلك الروسية البدينة .. نعم .. هي .. »

ومد يده ليأخذ المال ، لكن يدها منعته وقالت في عزم :

ـ « لحظة .. كيف لي أن أجدها ؟ »

فكر حينًا ثم قال :

ـ « إنها تكون هنا دومًا في العاشرة مساءً .. ولكن .. لا أريد متاعب هنا يا مدام .. »

ـ « لا تقلق .. ليس هذا في نيتي على الإطلاق .. »

فكرت في نقطة أخرى .. نظرت لوجهه الأسود الغليظ وسألت :

ـ « هل كان يتعاطى عقاقير ؟ »

كان يعرف أنها تعرف .. وهو لم يعد يبالي برأى أحد فهو فوق القانون .. بل لا يوجد قانون أصلاً ، لذا قال صادقًا :

ـ « لا .. ليس من هذا الطراز .. »

هذه المرة قبضت يده على المال ، فلم تعترض .. فقط ابتسمت بغموض واستدارت مبتعدة ..

قال لنفسه إنه لم يرتكب خطأ .. هذه المرأة لا تستطيع أن تؤذى نبابة ..

* * *

كانت تجلس خلف رأس المريض ، الذى تغطى كله بالأغطية ، وقد ثبتت العوينات ذات العدسات على وجهها .. وقد راحت فى رفق تنتزع عدسة العين .. كان المريض متيقظًا لكنه هادئ بفعل العقاقير التى أخذها مع المخدر الموضعى ..

ـ «كان (لوى) رقيقًا .. لم ينس عيد ميلادها قط ، ولم ينس يوم زواجهما ، ولم ينس شيئًا من تلك الأمور التى يحب الأزواج أن ينسوها ..

أحيانًا تفيق فى الليل فلا تجده جوارها .. تجده فى المطبخ يغسل الأطباق التى قررت أن تؤجل غسلها إلى الصباح ، وأحيانًا تعود من العمل لتجده قد طهى لها وجبة ساخنة ..

منذ كانا فى الوطن ، أشعرها بأنها ملكة .. ولم يكف عن ذلك يومًا .. وحينما فقدت كل الأجنة الذين فقدتهم قال لها وهو يلثم يدها إنه لا يبالى بالأبوة .. على الأقل سيجعلها هذا له بالكامل .. لن يأتى طفل وغد ليأخذها منه ..

كان رقيقًا .. وكان .... »

إن العدستين مبتلتان بالدموع الآن .. الرؤية عسيرة حقًا .. ومتى ؟ هذا أعقد جزء من جراحة السد Cataract وهى لحظة انتزاع عدسة العين المعتمة .. لكن هذه اللحظة ستمر حالاً ..

ـ « لم يخبرها بشىء وهو يذهب إلى الحمام .. يترك الفراش الدافئ المريح ، ويجلس فى المغطس .. عالما أن هذه المرة الأخيرة .. لن يصحو فى الصباح .. لن يراها ثانية .. برغم هذا يخرج الموسى ويهدوء وإصرار يقوم بالعمل الشنيع ، ثم يراقب قطرات الدم الحمراء التى تسيل .. تحتشد فى بركة صغيرة .. عالمًا أن هذا دمه .. لكنه لا يبالى .. رباه ! إنه لا يبالى .. حقًا لا يبالى .. لا يبالى .. رباه ! إنه لا يبالى .. حقًا لا يبالى .. لا يبالى .. رباه ! إنه لا يبالى .. حقًا لا يبالى .. لا يبالى .. رباه ! إنه لا يبالى .. حقًا لا يبالى .. »

هنا فقط لم تعد تدرك أين ذهب جهاز توازنها ؟ ماذا يفعله المخيخ بالضبط وماذا تفعله القوقعة والقنوات نصف الهلالية ؟ هذه الأعضاء لا تعمل كما يجب .. إنها لا تستحق راتبها .. أم أن هذا هو العصب الحائر الذى ؟ .

وفى اللحظة التالية تكومت على الأرض تحت منضدة الجراحة ، وصرخت الممرضة الألمانية فى هستيريا :

ـ « هيلفن زى مير !!! »

ثم تذكرت أن أحدًا لم يفهم ، فتكلمت بالفرنسية :

ـ « النجدة ! فلير أحدكم ما أصابها !! »

وصاح طبيب وهو لايستطيع أن يفارق الجراحة التى يقوم بها :

ـ « فليتقدم أحدكم ويهرع لاستكمال هذه الجراحة حالاً !! »

وهرع اثنان من الأطباء يحملونها خارج مسرح الجراحة ، بينما هرع أحدهم إلى غرفة التعقيم ليواصل ما بدأته هى ، وهو يدعو الله ألاتكون أتلفت شيئاً لحظة سقوطها .. نحن نتعامل مع عين بشرية لا مع (كاربوراتير) سيارة لو كانت قد لاحظت هذا ..

وحين أفاقت فى الاستراحة قال لها د . (شافيز) فى ضيق :

ـ « آخر وقت يمكن للمرء أن يفقد وعيه فيه هو يوم الجراحة .. وبالذات لحظة انتزاع عدسة العين .. »

وكانت تعرف هذا .. إن التركيز والتوتر يعنيان المزيد من الأدرينالين ـ الإبينفرين Epinephrine للدقة ـ وهذا يعنى أن العصب الحائر لايستطيع أن يفقدك الوعى ..

لكن الضغط العصبى كان أقوى منها على كل حال ..

ـ « أنت بحاجة إلى إجازة .. »

قالت وهى تنهض وتترنح نوعًا :

ـ « أنت تعرف أن .... »

ـ « أعرف .. زوجك مريض وفى حالة خطرة .. لهذا أجد أن قرار الإجازة مهم جدًا .. نحن نتعامل مع عيون بشرية لا مع كرات بنج بونج .. لهذا أنا اطالبك بإجازة .. بالأحرى آمرك بها .. »

* * *

اسمها (تاتيانا) .. تلك الروسية البدينة ..

نعم .. لابد أنها بدينة .. يقولون إن كل رجل يبحث عن صفة ليست فى امرأته .. هى ناحلة رقيقة ذات وجه طفل ولها شعر أسود قصير كالصبية ، فلابد أن (تاتيانا) هذه بدينة كخنزير ، شيطانية الملامح طويلة الشعر شقراء ..

كانت (سيمون) جالسة فى سيارة (سافارى) الجيب الواقفة فى الظلام على بعد عشرين مترًا من مدخل ذلك النادى .. والسائق الكاميرونى قد نام من طول الانتظار ، لكنه يعرف أن مكافأة مالية سخية ستصله بعد انتهاء المهمة ..

فى العاشرة مساءً رأت ثلاث فتيات يتجهن إلى المدخل

المضاء .. اثنتان منهما إفريقيتان ملطختان بالأصباغ والحلى الرخيصة .. إن المرأة الإفريقية تفقد كل سحرها حين تتشبه بالغربيات .. مثالاً حيًا للطائر الذى نسى المشى ونسى الطيران ..

أما الثالثة فامرأة بيضاء بدينة .. لا يوجد مجال للخطأ .. إنها هى ..

لماذا ظلت حية وبصحة جيدة لو كانت هى صاحبة اللعنة الأصلية ؟

* * *

ـ « وهو لغز من ألغاز (الإيدز) .. لماذا قد يعيش ناقل المرض أطول ممن نقل إليه المرض ؟ من الجلى أن هناك فصولاً من القصة لم تكتب بعد .. »

* * *

ظلت تنظر لها لمدة عشر دقائق كاملة وهى تقف مع صديقتيها تمزح .. نعم .. لم يكن ثمة شك فى مهنتها الحقيقية حتى لو ادعت أنها عالمة آثار أو خبيرة فى المعادلات غير الخطية ..

الآن دخلت الفتاتان الإفريقيتيان إلى النادى ، ووقفت الروسية فى الخارج بعض الوقت .. أخرجت لفافة تبغ ، وأشعلتها وراحت تنظر إلى السماء متظاهرة بشاعرية لا وجود لها ..

هل هذه الفرص كثيرًا ؟ لا .. إن القدر يمهد لها الطريق ويفرشه بالورود . يقول لها إن الوقت قد حان لتخليص البشرية من آفة .. سوف يغدو العالم مكانًا أجمل وأنظف .. ومن يحزن على فقد هذه ؟ بالواقع لا أحد .. إنها من الأشخاص النادرين كاليورانيوم الذين لن يخسر أحد شيئًا بفقدهم .. فقط سيخسر الشيطان الكثير ..

السائق نائم كطفل وديع ؟ إنه يحلم بالفرنكات التى ستملأ جيبه لدى انتهاء المأمورية ..

تفتح درج السيارة فى التابلوه وتفتش عن شىء يصلح . لا بد من شىء يصلح ..

سكين تقطيع فاكهة .. لماذا يحتفظ بها ؟ لتقطيع الفاكهة طبعًا .. إنها تصلح ..

هكذا دستها فى جيب ثوبها ، وترجلت من السيارة .. ليته لا يصحو الآن ..

تمشى فى تؤدة قاطعة مسافة العشرين مترًا .. تتذكر كلمات (هتشكوك Hitchcook) عن أن كل إنسان يمكن أن يكون قاتلاً فى أية لحظة .. القتلة لا يولدون قتلة .. الآن هى تعرف ما ستفعله جيدًا ، ولسوف تقوم به دون أن تهتز ..

الخطر كل الخطر هو ألا تتم مهمتها ..

دنت من الفتاة أكثر فنظرت لها هذه مرتبكة ..

ماذا يعجبه فيها ؟ ماذا أعجبه فيها فى ذلك اليوم ؟ إن الرجال مخلوقات بلهاء حقًا .. هذه الفتاة لها ذات ملامح (بريجنيف) لو أن (بريجنيف) كان أحول قليلاً ..

قالت الفتاة بلغة فرنسية غاية فى السوء :

ـ « مساء الخير .. هل أعرفك ؟ »

قالت (سيمون) برفق وهى تتقدم أكثر :

ـ « ثمة عرض معين .. لكن يجب أن نبتعد عن هنا .. »

قالت الروسية وهى تطوح بلفافة تبغها :

ـ « أنا لا أقبل أية عروض .. لابد من أن تتفاهمى مع (مولانجا) أولاً .. أنت تعرفين هذه الأمور .. »

ـ « ليس الأمر كما تظنين .. الأمر يتعلق بالكثير من المال .. »

بدا الاهتمام على الفتاة ـ طبعًا ـ وبالطبع هي لا تتوقع أي خطر من ناحية امرأة هشة مثل (سيمون) ، لذا هزت رأسها ضاحكة وأشارت إلى ركن بعيد بين الأشجار يمكن أن تتكلما فيه ..

تبتعدان قليلاً ، وتقف الروسية وتخرج لفافة تبغ أخرى ، وتقول :

ـ « ماذا تريدين ؟ »

في قوة كأنها مسعورة ، وثبت (سيمون) لتلقي بكل ثقلها على الفتاة ، وكانت الصدمة أقوى من أن يتحملها توازن الأخيرة برغم بدانتها .. هذه أشياء يعرفها كل من لعب (الجيجوتسو) ، وهكذا سقطت على الأرض على ظهرها ، ولا تدري كيف وجدت نصل السكين تحت عنقها .. لابد أنه أدمى شيئًا لأن خيطًا دافئًا كان يجري هناك .. تشعر به فتبكي ..

ـ « أنت مجنونة ..... ماذا تبتغين ؟ »

قالت (سيمون) وهى تضغط أكثر :

- « من يدعى (لوى مولنسار) .. مهندس فرنسى .. هل تعرفينه ؟ »

- « لا .. لا .. أى .. »

النصل يتوغل أكثر ، والجنون فى وجه (سيمون) يكفى وحده دون سكين .. تقول (سيمون) من بين أسنانها :

- « لاحظى أنك لو صرخت فلن تعرفى أبدًا متى رحلت إلى جهنم .. »

هتفت الروسية وهى تبكى وترتجف :

- « أعرف .. لكن لا علاقة لى به .. لقد كان يلعب البلياردو ثم ينصرف .. فقط .. »

- « كاذبة .. »

- « أقسم لك .. إنه ليس من هذا الطراز من الرجال ، وكان الآخرون يطلقون عليه (الزوج الأبدى) ساخرين .. »

قالت (سيمون) وهي ترفع النصل قليلاً :

ـ « وماذا يجدى قسمك على كل حال ؟ أنتن تستعملن القسم كما اللاشئ .. لقد انتهت اللعبة يا صغيرة .. ليتك بقيت مع ذويك في (كييف) .. إن .. »

في اللحظة التالية كنت قد انتزعتها من شعرها وألقيت بها على الأرض ، ثم ثنيت معصمها لأنتزع السكين .. تعلمت هذه الطريقة من (أشرف) صديقي في المدرسة الإعدادية .. وقبل أن تفهم الروسية شيئًا عدت لها كي أضع السكين تحت عنقها وحاولت ان أبدو مرعبًا :

ـ « ولا كلمة عما حدث .. ستعودين للنادى وتمارسين حياتك العادية .. إن ما رأيته لم يكن سوى حلم .. وإلا عرفت كيف أصل إليك .. هيا ! انهضي ! »

هنا شعرت بأظفار حادة تنشب في عنقي من الخلف .. لقد عادت د . (سيمون) تمارس ما بدأته ..

ـ « أنت لن تتركها تتحرر .. »

هكذا استكرت ولويت ذراعها لأسقطها على الأرض من جديد .. وصحت فى (تلتيانا) :

ـ « اهربى يا حمقاء .. لو كانت تنتوين المبيت هنا فهذه مشكلتك .. »

بدا عليها أنها لا تصدق ما يحدث ، ونهضت مطلقة لساقيها العنان .. لم تعد إلى النادى وإنما توارت فى الظلام ..

نهضت د . (سيمون) من الأرض باكية .. كانت تبكى من الغيظ والقهر ، وقبل أن تتكلم أو أتكلم هوت الصفعة على خدى لتفقدنى صوابى حتى شعرت بأنها أطارت جانب أسنانى الأيسر كله .. من عينى انبعث لسان من البرق كما يحدث فى القصص المصورة .. وشعرت بحنق مجنون ..

ـ « من أى بالوعة أتيت ؟ وكيف عرفت أننى هنا ؟ »

انتظرت حتى زال الصفير من أذنى .. من حسن حظها أننى لا أضرب النساء وإلا لاستمتعت بتحويلها إلى عجين .. فقط قلت وأنا أترنح :

ـ « السائق كان ينتظرك خارج دارك .. تنوبت منه لأثرثر معه فقال إنك طلبته لتذهبي إلى (مولانجا) .. لماذا تريدين الذهاب إلى (مولانجا) في ساعة كهذه ؟ كان استنتاج الباقي سهلاً .. ستقومين بعمل مجنون .. وخطر لي أن أتوارى بين الأشجار وأرى ما تنوين عمله .. رأيتك تأخذين تلك الفتاة على جنب ثم تلقينها أرضًا وتضعين السكين تحت عنقها .. صارت القصة واضحة .. لا يبدو الأمر خلافًا سياسيًا بين صديقتين .. »

ـ « السائق القذر ! »

ـ « أولاً لم يقل له أحد إن الأمر سر .. ثانيًا احمدي اللّه أنني أنقذتك من جرم كهذا .. لن تعرفي الحقيقة أبدًا فلا تقضي وقتك في ذبح الناس .. »

ـ « إنها مجرد قملة قذرة .. »

ـ « لو قرر المرء ذبح كل القذرين لتحول عالمنا إلى سلخانة .. في الإسلام يغدو اتهام كهذا ظالمًا ما لم يقره أربعة شهود ، والسيد المسيح يقول (من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر) .. »

ثم أشرت لها نحو السيارة الواقفة فى الظلام ، وقلت :

- « سأعود معك إلى الدار .. سأتأكد من أنك أخذت قرصًا مهدئًا .. لو شئت أن تبيت (برنادت) معك الليلة فلا أحسبها تمانع .. »

هزت رأسها ولم تقل شيئًا ، ومشيت معى إلى السيارة ..

سألتنى وهى تفتح الباب :

- « هل تحسبها ستتكلم ؟ »

- « من ؟ تلك الروسية ؟ لا أظن هذا .. لقد عقد الذعر لسانها .. لقد أخافها تهديدى .. »

وكان السائق نائمًا فى سرور لا يشعر بكل العراك والمذابح التى دارت على بعد أمتار منه .. هذه هى مزية أن تكون أحمق ..

* * *

11 ـ نهاية سعيدة ..

بعد يومين سمعنا أخبارًا جديدة ..

لقد شبَّ حريق مروع فى ذلك النادى الذى أقامه (ألبرت) :. حدث هذا فجر أمس .. كان المكان خاليًا .. ويبدو أن هناك من تسلل وأفرغ عدة جالونات من الكيروسين من تحت الأبواب الموصدة ، ثم طوح ببعض الكيروسين من نافذة ، وتلاها بعود ثقاب مشتعل ..

كان الحريق هائلاً كما لك أن تتوقع ، وقد التف الأهالى جميعًا حول المكان ، وقاموا بأسلوب (طابور الدلاء) الشهير محاولين إطفاء النار .. لكنهم تأخروا أكثر من اللازم ، وفى النهاية تحول المكان إلى خراب تنعق فيه البوم ..

لم يصب (ألبرت) بأذى .. برغم أنه يسكن فى غرفة خلفية مع امرأته .. لكنه بالتأكيد كان يفضل أن ينتهى أمره فى الحريق ، أو ـ على الأقل ـ تحترق امرأته .. فهو من الطراز العملى الذى يؤمن أن الإنسان قابل للتعويض لكن المال لا يعوض ..

هكذا جلس أمام أطلال ناديه يولول ويلطم خديـه .. وراح يتكلم كلامًا كثيرًا بلغة (البانتويد) لم نفهم منه شيئًا طبعًا .. لكننا جميعًا فـى (سـافارى) شـعرنا براحـة .. لـو كـان هذا حادثًا عرضيًا ، فقد خلص البلدة من وبـاء لجتمـاعى لاشك فيه ..

* * *

حين فتحت د . (سيمون) الباب وجدتنى أنا و(برنـادت) نقف هناك ونبتسم ..

ابتسمت بدورها وقالت فى حرج :

ـ « هل تدخلان ؟ »

قلت لها فى ثبات :

ـ « جئنا نهنئك على ما قمت به .. يعلم الله كيف وجـدت القوة والشجاعة لذلك ، لكنك سعيدة الحظ لأن أحـدًا لـم يحترق وإلا لتغير موقفنا بالكامل .. »

هتفت فى غباء :

ـ « عم تتحدثان ؟ »

قالت (برنادت) وهى تجذبنى من ذراعى :

ـ « ليكن .. نحن على خطأ .. خطر لنا أن .. لا عليك .. »

عادت الطبيبة الفرنسية تصيح فى حماسة :

ـ « عم تتحدثان بالضبط ؟ »

قلت لها وأنا أبتعد مع (برنادت) :

ـ « لا تقلقى يا دكتورة .. اعتبرى أننا لم نقل شيئًا .. »

كنت أعرف أنها فعلتها طبعًا .. قانون الصدفة لا يعمل بهذه العشوائية المجنونة .. طبعًا هى لن تتكلم ونحن لن نتكلم .. لن يستطيع أحد إثبات التهمة عليها ، وحتى لو تذكر الساقى وجهها أو تكلمت الفتاة الروسية ، فإن هذا ليس دليلاً على أنها يمكن أن تحرق المكان ..

لا أنكر أننى لا اشعر بأية رغبة فى لومها أو اتهامها .. هذه المرة كان انتقامها موجهًا للهدف الصحيح ، ولم تتلوث يدها بدم بشرى .. وإن كانت العناية الإلهية وحدها هى من حقق ذلك ..

لا أنكر أنها شجاعة .. هذا طبعًا لو كانت قامت بالعمل وحدها ، ولم يساعدها فيه شخص ما .. وإن كنت أستبعد أنها ستجد من يقبل .. إن من يقبل ربما يتكلم فيما بعد ..

وسألت (برنادت) ونحن عائدان لدارنا :

ـ « أليس غريبًا أنها لم تزر زوجها في المستشفى قط ؟ »

قالت :

ـ « لا أستغرب هذا .. كما قلت لك هي تحبه جدًا .. تحبه إلى حد أنها لا تطيق رؤيته .. هذا هو ما أستطيع قوله في هذه اللحظة .. »

ثم سألتني :

ـ « هل رأيته اليوم ؟ »

ـ « يتحسن باضطراد من ناحية الجرح ، لكن حالته المعنوية صفر .. وأعتقد أنه سيكرر المحاولة .. لقد أبلغتهم بهذا في الإدارة لكنهم حمقى طبعًا .. سوف يقولون فيما بعد إنهم لم يتوقعوا أنه سينزع خرطوم المحلول وينفخ فيه ،

أو يسرق سكين الطعام ويغمدها فى صدره ، أو يدخر الأقراص المهدئة ليبلع خمسين قرصًا فى جرعة واحدة .. سيقولون هذا فيما بعد فى أسف .. هذه هى القصة دائمًا .. الحقيقة أن الضمان الوحيد لحياته هو أن أرقد أنا تحت فراشه لأراقبه .. تعلمت من زمن ألا أثق بأحد سواى .. لكن هذا الحل مستحيل عمليًا .. »

قالت وقد تذكرت قصة مماثلة :

ـ « مثل (ويلسلى) فى (كينيا) .. »

ـ « نعم .. لقد أنذرت الجميع .. كنت أعرف ما سيحدث لكنهم قالوا لى : نحن حذرون بما يكفى أيها الشاب .. وبعد انتحاره قالوا : خسارة .. لقد كان جادًا ! »

كنا قد بلغنا دارنا ففتحت لها الباب ..

أعتقد أن القصة انتهت عند هذا الحد .. هناك مشكلة قاسية تنتظر الدكتورة هى أن تعالج زوجها الذى لا أعتقد أنها ستطلب الانفصال عنه .. طبعًا لا يوجد علاج .. ستعيش أيامًا قاسية مريرة ولسوف تحضر عملية وفاته البطيئة ساعة

بساعة .. وفى النهاية سيموت وتترك هى الوحدة عائدة إلـى وطنهـا ، وتمضى بـاقى حياتهـا تجتـر الذكـرى جوار المدفأة ..

* * *

فى الصباح وقفت د . (سيمون) فى المطبخ تعد لنفسـها إفطارًا ..

اليوم تشعر بأنها أفضل حالاً .. ثمة جو من التسامح يخيم على روحها .. اليوم فقط تشعر بأنها قادرة على الذهاب إلى المستشفى ولقاء زوجها ..

إنها لم تستطع أن تغفر له عدة أشياء .. حيثيات الحكم الصادر عليه فى وجدانها كثيرة ..

إنـه تركها وراح يعبث .. إنـه أصيب بـالإيدز .. إنـه لـم يخبرها .. إنه تخلى عنها حين حـاول الانتحـار .. باختصـار تصرف كأنها لم توجد فى حياته قط ..

كانت تشعر بحقد .. لكن هذا الحقد تلاشى كأنما كـان فـى ذلك النـادى عندما احترق .. الآن هى لا تحمل ضده شيئًا ،

وبوسعها أن تعود إليه لتخبره أنها سامحته .. سوف تبقى معه فى رحلة العلاج الطويلة .. صحيح أنها رحلة بلا جدوى نهايتها دومًا هى شاهد القبر ، لكنها لن تخبره بهذا .. ستترك له الأمل ..

انتهت من قلى البيض واللحم فقلبت محتوى المقلاة فى طبق ، وعادت إلى غرفة الطعام ..

إنها بحاجة إلى كل قواها اليوم ، وقد حان الوقت كى تأكل .. للمرة الأولى تأكل من زمن بعيد .. ربما قرون ..

لكن .. هذا غريب ..

ليست شهيتها على ما يرام .. قررت أن عليها أن تقاوم .. جسدها بحاجة إليها وهى بحاجة إليه ..

غرست الشوكة فى شريحة لحم ورفعتها إلى فمها .. هنا شعرت بدهشة .. إن حلقها يؤلمها .. ولسانها كأنه محترق .. ثم ما هذا المذاق الغريب للحم ؟

نهضت إلى الحمام وأفرغت ما بفمها فى البالوعة ، ثم وقفت أمام المرآة تتأمل وجهها النحيل الرقيق ..

فتحت فمها وأخرجت لسانها ..

ما هذا ؟

ما سر كل هذا القطر الذى يملأ فمها ويغطى لسانها ؟!

* * *

قال لها طبيب الأسنان هو يفحص فمها :

ـ « هذا سهل .. هذا طفيل (كانديدا) يا دكتورة .. لا أستبعد أنه تسلل إلى المرىء كذلك .. إن عقار (مايكوستاتين) أو (فلوكونازول) يمكن أن يشفى هذه العدوى بسرعة هائلة .. »

قالت وهى تتنهد فى راحة :

ـ « حمدًا لله .. حسبت الأمر مقلقًا .. »

قال فى كياسة وهو يطفئ المصباح المسلط إلى فمها :

ـ « بل هو مقلق .. إن علاجه سهل .. لكن الأهم هو سببه .. »

ـ « سببه هو الكانديدا .. »

ـ « نعم .. لكن لم ظهرت الكانديدا ؟ لو كنت مكانك لبحثت عن سبب لتدهور المناعة .. السكرى .. عقار الكورتيزون .. وهناك إجراء سخيف لكنى أوصى به كروتين .. كما يقول الإنجليز : لا يمكنك أن تكون حذرًا أكثر مما يجب .. »

ثم أردف وهو ينزع عويناته :

ـ « .. اختبار لفيروس HIV .. »

★ ★ ★

قالت لها الدكتورة (هيلجا) فى عصبية :

ـ « أكرر أن الاختبار الخاص بفيروس HIV سلبى .. وهذا يكفى كى نقول إنك خالية منه .. »

كانت (سيمون) جالسة على طرف المقعد ، وقد تشابكت يداها فى صيغة توسل .. وقالت متوترة :

ـ « إن الموضوع ليس هينًا بالنسبة لى .. زوجى مصاب بالفيروس ، وأنا أصاب بهذا الفطر اللعين .. أليس الأمر مريبًا ؟ أعتقد أننى أصبت بالعدوى منه .. »

ثم نظرت لعين المرأة الشمطاء وقالت :

ـ « هل من سبيل للتأكد ؟ »

قالت (هيلجا) وهى تنزع عويناتها :

ـ « يمكننا أن نجرى بحثًا عن الحمض النووى للفيروس بأسلوب (تفاعل سلسلة البوليمريز PCR) .. يمكن كذلك أن نجرى عدًا لخلايا CD4 .. لكنى أؤكد لك يا صغيرة أنك تضيعين وقتك ومالك .. »

ـ « أريد أن أعرف .. أرجوك .. »

ضغطت (هيلجا) زر الجرس ، وطلبت من يأتى ليأخذ عينة أخرى من دم د . (سيمون) .. لحسن الحظ لم أكن فى المختبر وقتها .. وظهرت الممرضة حاملة ما يلزم لأخذ عينة ..

ـ « ستعرفين النتيجة خلال ثلاثة أيام .. »

* * *

....

* * *

بعد ثلاثة أيام .....

أمسكت (هيلجا) بالأوراق .. وللمرة الأولى بدا على وجهها قلق عارم .. هذه المرة عرفت (سيمون) النتيجة من قبل أن تسأل .. يعرف المتهم فى جريمة قتل القرار حينما يعود المحلفون للقاعة ولا ينظرون إليه .. إنه الإعدام إذن ..

ـ « للأسف أنت فى مرحلة متقدمة من المرض .. لم تصلى لدرجة (الإيدز) بعد .. لكنك تمرين بما كانوا يسمونه قديمًا : المركب المتعلق بالإيدز ARC .. حيث يعانى المريض العدوى الانتهازية من دون أن يتدهور عدد خلايا CD4 كثيرًا .. »

لم تستطع البقاء على قدميها وهى تتحسس ركبتيها :

ـ « لكن .. التحليل السابق كان سلبيًا .. أنت قلت ذلك .. إذن لم تكن الأجسام المضادة قد ظهرت بعد ؟ »

مطت (هيلجا) شفتها السفلى المبرقشة ، وقالت فى كياسة :

ـ « لا .. ليس الأمر كذلك .. إن مرحلتك متقدمة كما قلت لك ، ومعنى هذا أنك مصابة بالفيروس من زمن .. لقد كان الفيروس فى دمك ، لكن اختبار الأجسام المضادة كان سلبيًا .. كان خطأ .. ولذلك أسباب عدة .. منها أن تكونى مصابة بالملاريا أو بسرطان لمفاوى .. ومنها أن تكونى فى مرحلة متقدمة جدًا أو متأخرة جدًا من المرض .. ومنها أن تكونى حملت مرارًا من قبل .. كل هذا يعطى نتيجة سلبية زائفة .. »

إن (سيمون) تعرف أنها غير مصابة بالملاريا ولاسرطان اللمف .. لكنها حملت كثيرًا من قبل ولم تظفر بطفل ..

هذا يفسر النتيجة الزائفة التى أسعدتها بضعة أيام ..

بصوت هامس قالت وهى تبحث عن منديل تمسح به عبراتها :

ـ « لقد أصابنى بالعدوى !! كنت أتوقع هذا .. »

قالت (هيلجا) وهى تتحاشى نظراتها :

ـ « ليس الأمر بهذه السهولة .. لقد رأيت أبحاث زوجك

اليوم .. مستوى الفيروس لديه أقل منك .. خلايا CD4 أعلى منك .. باختصار هو فى بداية المرض .. بينما أنت تقتربين من نهايته .. حتى لو أصابك بالعدوى فما كنت تبلغين هذه الصورة بهذه السرعة .. »

اتسعت عيناها رعبًا ونظرت إلى الشمطاء الذى بدا كأنه وجه صنم وثنى يطلب القرابين من قلوب الأطفال النابضة .. وتساءلت فى رعب :

ـ « ماذا تريدين قوله ؟ »

ـ « زوجك لم ينقل لك المرض .. »

ونهضت خارجة من مكتبها ذى الجدران الزجاجية وهى تستكمل جملتها :

ـ « أنت من نقل المرض لزوجك !! »

★ ★ ★

الآن يمكنها أن تتذكر ..

هل كان هذا من أربعة أعوام ؟ خمسة ؟

الدم ينزف منهـا ويغطـى المحطـة .. إنهـم يصرخـون ويركضون ..

الإجهاض يتكرر .. هذه المرة توجد مشيمة وقد انفصلت قبل الأوان الدم يسيل أنهارًا ..

قسم أمراض النساء ..

الطبيبة الصينية (ماى فاى لين) بلغتها العجيبـة تقيس لها ضغط الدم ، وتصرخ فى الممرضات :

ـ « صدمـة .. هــذا صدمـة شـديـد .. يـلازمـا .. هل دم ؟ دم ؟ »

الآن هى راقدة على منضدة الجراحة .. تشعر بالعرق البارد يحتشد على جبهتها .. روحها تغوص من حين لآخر داخل المنضدة فتنتفض محاولة أن تعيدها إلى السطح ..

الطبيبة الصينية تجلس بين ساقيها المتباعدين ، وتبدأ العمل .. بينمـا طبيب التخدير يولـج قناة وريديـة فى كـلا ذراعيها .. ويصرخ فى غلظة :

ـ « أين هذا الدم ؟ »

يأتى الكيس الأحمر القانى المليء بالحياة إلى درجة الانفجار .. يعلقه الطبيب ويبدأ الدم ينساب ليدخل إلى عروقها .. هنا فقط يسأل الطبيب الممرضة التى جلبت الدم :

ـ « هل تأكدت من الفصيلة وفحوص الفيروسات ؟ »

ـ « إنه الوحيد المتاح .. ولم يتسع الوقـ..........

الآن كان يفرغ محقن (البنتوثال) فى القناة الوريدية فى الذراع الآخر ، وقد انزلقت إلى عالم اللاوعى قبل أن تسمع باقى ما قالته الممرضة ..

وحين أفاقت من السبات كانت قد نسيت كل شىء ولم تعد إلا حسرة الطفل الذى فقدته .. والذى سيكون الأخير على الأرجح ..

الآن تعرف ما قالته الممرضة ..

تعرف لماذا لم ينزع الطبيب الدم .. لأن الخطر القريب كان أهم من الخطر البعيد .. لو لم تتلق دمًا لماتت أمام عينيه .. بينما يوجد احتمال لا بأس به أن يكون هذا الكيس نظيفًا كدماء طفل .. طفل أمه سليمة طبعًا ..

* * *

الآن فقط تفهم كل شيء ..

كان زوجها بريئًا كما قالت الروسية .. وكان الساقى (ألبرت) يستغل سذاجتها ليظفر ببعض المال ..

كان زوجها يتردد على ذلك النادى بدافع الملل .. لكنه لم يفعل شيئًا إلا لعب البلياردو ..

ثم بدأ يدرك حقيقة أنه مريض .. بدأ يدرك أنه مصاب بذلك الفيروس اللعين ..

من أين جاء ؟ هو يعرف أنه لم يقترف إثمًا .. لقد جاء الداء من زوجته طبعًا ..

هذه المرة لم يشك فيها ، وإنما كان يعرف أن إصابة طبيب بالمرض خطر مهنى قائم .. وهو يعرف أنه مرض بلا علاج ، ومن الخير لها ألا تعرف الحقيقة .. لقد دارى السر الرهيب عنها وراح يرزح تحت أطنان من الهموم والتوجس ..

فى النهاية قرر أن يتخلص من حياته .. لأنه لا يريد أن يراها تموت أمامه .. تصرف طفولى أنانى لكن منذ متى لم يكن (لوى) طفلاً أنانيًا ؟

أما هي فكانت تحمل المرض لكنها لم تصب بأية أعراض .. لم تمر بالمتلازمة القهقرية الحادة .. أو مرت بها بشكل بسيط جدًا من أربعة أعوام .. لعلها حسبت أنها اصيبت بنزلة برد ..

عاشت تمارس حياتها الطبيعية بينما الفيروس يمرح في دمها .. يلتهم خلايا CD4 بلا تحفظ ..

حتى جاءت لحظة الحقيقة ..

* * *

فتح الزوج عينيه فوجدها تجلس جواره .. ورفع عينه أكثر فوجدني و(برنادت) .. لقد أخبرتنا بكل شيء ..

قالت له وهي تضع أنامله على شفتيها :

ـ « الآن أعرف كل شيء .. أنا من سبب هذه المأساة ولا أعرف كيف أعتذر .. »

قال في إنهاك وهو يمرر يده عبر خصلات شعرها القصير الأسود :

ـ « لم يكن ذنبك ولا ذنبى .. لكنى لم أتحمل فكرة أن تمرضى قبلى وأن يأتى موعدك قبلى .. فكرت فى الهرب ولم أفكر فى مشاعرك حين تجدين جثتى فى المغطس .. »

ـ « طفل أنانى .. كما كنت دومًا .. »

ثم رفعت عينيها نحونا وقالت :

ـ « أعرف أن مرضنا عسير وبلا شفاء تقريبًا .. لكننا سنصمد معًا .. وفى النهاية سننتصر أو نذهب لذات القبر معًا .. »

قلت لها وأنا أحاول ألا يتهدج صوتى :

ـ « إن العلم يثب وثبات هائلة يا (سيمون) .. ربما خلال عام أو اثنين يظهر علاج جديد أكثر فعالية .. »

وقالت (برنادت) التى بدأت الدموع تسيل فعلاً من تحت عويناتها :

ـ « لم يبلغ أحدكما مرحلة (الإيدز) بعد .. معنى هذا أن

هناك أملاً ، وأن أمامكما بعض الوقت .. ربما خمسة أعوام أخرى .. فى هذه الأعوام قد يحدث الكثير .. إن هؤلاء الساهرين فى معهد (باستير) وكل المختبرات العملاقة فى أمريكا لن يتوقفوا حتى يصير الإيدز مثل التيفود والدرن قضية منتهية .. »

قلت لـ (سيمون) متعمدًا الضغط على كلماتى لأؤكد أنها لم تصر لغة تثير ذعرنا :

ـ « إن بيتنا مفتوح لك فى أى وقت .. لو أردت قضاء الليلة عندنا فالدار دارك .. »

ثم إننى جذبت (برنادت) من طرف خفى كى نغادر الغرفة ..

لا مكان لنا هنا الآن ..

* * *

سيبقى اللغز يقبع فى الظلام ..

بين أحراش إفريقيا وفى أزقة (سان فرانسسكو) وفى حانة فى (هونج كونج) وفى ثلاجة دم فى (موسكو) ..

متى بدأ ؟ من أين جاء ؟ وكيف ينتهى ؟

لا أحد يعرف .. ولكم وددت لو أجبت على هذه الأسئلة ..

لكن هذا للأسف الشديد خارج نطاق عملنا هنا فى (سافارى) ..

د . علاء عبد العظيم

(أنجاوانديرى)

تمت بحمد الله



H.I.V

قالوا إن الفيروس يختلف عن المرض .. المرض الذى تتدهور فيه المناعة إلى أقصى حد، ويصل المريض إلى مرحلة الإصابة بالدرن لو قرأ اسمه مكتوبًا - لو كان شىء كهذا ممكنًا - وولدت لفظة جديدة تصف المرض، وسرعان ما صارت على كل لسان وفى كل جريدة .. لقد ولد تعبير (متلازمة فقدان المناعة المكتسبة) .. أخذوا الحروف الأولى من العبارة فولدت اللفظة المرهوبة ..

الإيدز ..

د. أحمد خالد توفيق

مطابع
المؤسسة العربية

الثمن فى مصر ٢٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم
توركانا !